دراسات في خلق الصبر في ضوء الكتاب والسنة

لفضيلة الدكتور/ مفرح بن سليمان القوسي[1]

الحمد لله الصبور الشكور، العلي الكبير، السميع البصير، العليم القدير، الذي شملت قدرته كل مخلوق، وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور، وقدّر مقادير الخلائق وآجالهم، وكتب آثارهم وأعمالهم، وقسم بينهم معايشهم وأموالهم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من بريته، وصفوته من خليقته، أعرف الخلق به، وأصبرهم لحكمه، وأشكرهم لنعمه، بلّغ رسالة ربه، وصدع بأمره، وتحمل في مرضاته ما لم يتحمله بشر سواه، وقام لله بالصبر والشكر حق القيام حتى بلغ رضاه، أما بعد :

فإن الله عز وجل جعل الصبر جواداً لا يكبو ،وصارماً لا ينبو، وجنداً لا يهزم ، وحصناً حصيناً لا يُهدم ولا يُثلم ، فهو

(١) عضو هيئة التدريس بقسم الثقافة الإسلامية، بكلية الشريعة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

والنصر أخوان شقيقان، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، والعسر مع اليسر [١] .

كما جعل سبحانه الصبر خلقاً كريماً ومنهجاً قويماً، ولا غنى للمسلم عنه وهو يخوض معترك هذه الحياة الدنيا التي جعلها سبحانه دار ابتلاء وامتحان، فالمسلم يعيش في هذه الدنيا بين أمر إلهي يجب عليه امتثاله، ونهي إلهي يجب عليه اجتنابه، ومحن ومصائب وكروب تحل به من كل جانب، وكل ذلك يحتاج المسلم فيه إلى التسلح بسلاح الصبر لمجاهدة الشيطان والنفس والهوى، ليكتب عند الله من الصابرين الذين أثنى سبحانه عليهم في محكم التنزيل، ووعدهم بأفضل الجزاء وأحسنه .

سبب اختيار موضوع البحث :

يرجع اختيار موضوع « الصبر » لأسباب عدة، أهمها :

١- أهمية هذا الموضوع، لتعلقه بأركان الإسلام ومقامات الإيمان كلها، ولعظم شأنه في حياة الناس وأمورهم الدينية والدنيوية .

٢- عظم أجر الصبر عند الله عز وجل، وليس أوفى لبيان قيمته من أنه لا يُعرف حدٌّ لثوابه، لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [٢] .

---

(١) انظر : ابن القيم، عدة الصابرين ، ص٦،٥،ط الأولى١٩٩١ م، دار الفكر اللبناني، بيروت .

(٢) سورة الزمر ، الآية ١٠.

٣- مسيس الحاجة إلى التذكير بالصبر والتواصي به والدعوة إليه، وذلك انطلاقاً من قوله عز وجل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، ثم تمثله ليكون واقعاً ملموساً معاشاً في حياة المسلمين المعاصرة ، ولا سيما أن الأمة المسلمة تعيش الآن في ظروف جد صعبة، وتعاصر أوضاعاً حرجة، من حيث تكالب الأعداء وتداعيهم عليها من كل حدب وصوب تداعي الأكلة على قصعتها، ومن حيث افتقار كثير من أبنائها إلى الالتزام بالصبر الذي جعله عز وجل قرين الإيمان والتقوى .

فموضوع هذا شأنه ، جدير بلا شك بالبحث والدراسة .

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة .

أما المقدمة :

فتشتمل على ما يلي :

١- بيان أهمية موضوع البحث .

٢- خطة البحث .

٣- منهج البحث .

---

(١) سورة الذاريات ، الآية ٥٥.

وأما **التمهيد** : فيشتمل على أمرين :

الأول : تعريف « الصبر » لغة واصطلاحاً .

الثاني : حكم الصبر .

وأما **الفصل الأول** : **فهو في أنواع الصبر** : وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في الصبر على الطاعة .

المبحث الثاني : في الصبر عن المعصية .

المبحث الثالث : في الصبر على المحن والمصائب .

وأما **الفصل الثاني** : **فهو في آداب الصبر** : وينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول : في آداب الصبر الظاهرة .

المبحث الثاني : في آداب الصبر الخفية .

وأما **الفصل الثالث** : **فهو في فضائل الصبر** : وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في فضائل الصبر في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : في فضائل الصبر في السنة النبوية .

المبحث الثالث : في فضائل الصبر في آثار سلف الأمة وعلمائها.

وأما **الفصل الرابع**: **فهو فيما يعين على الصبر** : وينقسم إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : فيما يعين على الصبر على الطاعة .

المبحث الثاني : فيما يعين على الصبر عن المعصية .

المبحث الثالث : فيما يعين على الصبر على المحن والمصائب .

وأما الخاتمة : فتشتمل على رصد لأبرز نتائج البحث العلمية .

منهج البحث : اقتضت طبيعة البحث اتباع منهجين اثنين :

أحدهما : المنهج التأصيلي : وذلك بإقامة دراسة موضوعات البحث ومسائله على ما جاء بشأنها من نصوص شرعية في الكتاب والسنة، وعلى فهم علماء الأمة وسلفها لهذه النصوص .

الثاني : المنهج الوصفي : وذلك بضرب الأمثلة المتعددة للتأدب بالصبر والاتصاف به لدى أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، ولدى الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

مع عنايتي بما يلي :

١- الرجوع إلى المصادر الأصلية في مجال موضوع البحث .

٢- اعتماد أسلوب السهولة واليسر في طرح أفكار البحث وعرضها ومعالجة مسائله، واجتناب الإسهاب والإطالة وغموض العبارة .

٣- التزام الأمانة العلمية في العزو والاقتباس والنقل .

٤- ترقيم الآيات القرآنية وبيان سورها .

٥- تخريج الأحاديث النبوية وبيان ما ذكره أهل الشأن في

درجتها، إذا لم تكن في الصحيحين أو أحدهما، فإذا كانت كذلك اكتفيت حينئذ بتخريجهما .

٦- العناية بقواعد اللغة العربية والإملاء وعلامات الترقيم .

٧- ذكر البيانات الكاملة لكل مصدر أو مرجع في الهامش عند أول وروده في البحث، من حيث بيان : عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، واسم محققه إن كان محققاً، وعدد الطبعة، وتاريخها، واسم الناشر، ومكان النشر .

٨- تزويد البحث بفهرس للموضوعات، وفهرس للمصادر والمراجع .

٩- أما بالنسبة للنقول والإحالات في الهوامش فهي على النحو التالي :

أ- إذا تصرفتُ في النص المنقول تصرفاً يسيراً أوردته بين قوسي تنصيص وأشرتُ في الهامش إلى أن النقل كان بتصرف يسير، وإذا تصرفت فيه تصرفاً كثيراً ذكرتُ في الهامش كلمة (انظر)، أما إذا لم أتصرف فيه مطلقاً بأن كان نقلاً حرفياً أوردته بين قوسي تنصيص واكتفيتُ بالإشارة إلى المرجع دون كلمة (انظر) .

ب- إذا اقتبست من المرجع فكرة ما، أو استفدتُ منه معلومة، أو أحلتُ إلى مرجع فأكثر توسع في بحث الموضوع الذي

كنتُ أتحدثُ فيه، ذكرتُ في الهامش كلمة (راجع) .

ج- إذا كررتُ النقل من المرجع دون أن يفصل بين النقلين مرجع آخر، ذكرتُ في الهامش عبارة (المرجع السابق) .

د- إذا وضعتُ بين الكلمات هذه النقاط الثلاث (...) سواء في المتن أم في الهامش، فإن ذلك يعني أن هناك كلاماً محذوفاً تم الاستغناء عنه طلباً للاختصار، أو لعدم الفائدة من ذكره .

وبعد :

فهذا جهدُ بشرٍ فما كان فيه من حق وصواب فمن الله وحده، وله الحمد والثناء على توفيقه، وما كان فيه من خطأ وزلل وتقصير فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه من ذلك .

والله أسال أن يجعلني من عباده المؤمنين الصابرين الشاكرين، وأن يرزقني إخلاص النية وصلاح العمل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

التمهيد

أولاً: تعريف الصبر :

أ- التعريف اللغوي :

تستخدم كلمة ((الصبر)) ومشتقاتها في اللغة العربية بمعان عدة، منها:[1]

١- الحبس والمنع : فكل من حبس شيئاً فقد صَبَرَه، يقال صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر، أي حبستها، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ﴾[2]، ومنه أيضاً قول عنترة يذكر حرباً كان فيها :

فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لذلكَ حُرّةً   تَرْسُو إذا نَفْسُ الَجبانِ تَطَلَّعُ

والصَّبْرُ : نقيض الجَزَع، وهو حبس النفس عن الجزع، يقال: صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْراً ، فهو صَابرٌ وصَبَّارٌ وصَبِيرٌ وصَبُورٌ، والأنثى صَبُورٌ أيضاً بغير هاء ، وجمعه صُبُرٌ . ويقال أيضاً : صَبَرَ فلانٌ عند المصيبة

(١) انظر في هذا كلاً من : الجوهري، الصحاح ، ص ٦٠٥ - ٦٠٧ ، ط الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م،دار إحياء التراث العربي، بيروت . وابن منظور، لسان العرب ،ج ٧/ص ٢٧٥ - ٢٧٨، ط الثالثة ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربي، بيروت . والفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٢ / ص ١٣٥، ١٣٦، ط الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت .

(٢) سورة الكهف، الآية ٢٨ .

يَصْبِرُ صَبْراً، وصَبَرته أنا : حَبَسْتهُ، وصَبَّرْته بالتشديد : إذا حملته على الصبر . ويسمى شهر الصوم شهر الصبر، لما فيه من حبس النفس ومنعها عن الطعام والشراب والنكاح .

٢- الشدة والقوة : ومنه الصُّبْرَةُ، والصَّبْرَةُ : وهي الحجارة الشديدة الغليظة، ومنه قيل للحرَّة : أم صَبَّار، وقيل للهضبة التي ليس لها منفذ أم صَبُّور . يقال : وقع القوم في أم صَبُّور، أي : في أمر ملتبس شديد ليس له منفذ .

وأم صبَّار وأم صبّور كلتاهما : الداهية والحرب الشديدة .

٣- الجمع والضم : ومنه الصُّبْرَةُ : وهي ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن بعضه فوق بعض كالكُومة، ومنه حديث مر النبي صلى الله عليه وسلم على صُبْرَةِ طعام فأدخل يده فيها[1] .

٤- الثبات : ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ** ﴾[2]، أي: بالثبات على ما أنتم عليه من الإيمان .

ب- **التعريف الاصطلاحي** :

عرف الصبر اصطلاحاً بتعريفات كثيرة أذكر منها ما يلي :

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه في كتاب (الإيمان)، باب (قول النبي صلى الله عليه وسلم: من غشنا فليس منا)، ج٢ / ص ١٠٩ ، ط دار الريان، القاهرة .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٤٥.

عـرفه الراغـب الأصـفهاني بأنـه: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع،أو عما يقتضيان حبسها عنه[١].

وعرفه الجنيد بن محمد بأنه : تجرع المرارة من غير تعبس[٢] .

وعـرفه ذو الـنون المصـري بأنــه : التـباعد عــن المخالفـات، والسـكون عـند تجـرع غصـص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة[٣].

وعرفه الجرجاني بأنه : ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله[٤].

وعـرفه ابـن القـيم بأنـه : حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش[٥] .

وقيل: هو الوقوف على البلاء بحسن الأدب[٦] .

---

(١) مفـردات ألفـاظ القـرآن، ص ٤٧٤، بتحقـيق : صـفوان داوودي، ط الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، دار القلم، دمشق .

(٢) ابن القيم، عدة الصابرين، ص ١٥.

(٣) المرجع السابق .

(٤) الـتعريفات، ص ١٤٣، ط الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٩م، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت .

(٥) مــدارج الســالكين، ج٢/ ص ١١٩، ط الأولى ١٤١٩هــ ١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(٦) ابـن القـيم، عدة الصابرين، ص ١٥ . والنووي، شرح صحيح مسلم، ج٣/ ص ١٠٢.

وقيل: الثبات على أحكام الكتاب والسنة[(١)].

وبهذا يتبين أن تعريف الصبر يختلف باختلاف الموطن الذي يُحتاج إليه وفيه، فالصبر لفظ عام، وربما خُولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سُمي صبراً لا غير ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سُمي شجاعة ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مُضجرة سمي رَحْبَ الصدر ويضاده الضَّجَر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ويضاده الإفشاء[(٢)]، وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلماً ويضاده التذمر، وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص، وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة، ويضاده الشره، فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر [(٣)].

---

(١) ابن القيم، عدة الصابرين، ص ١٦، والنووي، شرح صحيح مسلم، ج٣ / ص ١٠١، ١٠٢ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢/ ص ١١٨، ط الخامسة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت .

(٢) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٤٧٤، بتصرف يسير .

(٣) انظر : الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤ ص ٦٤، ط دار القلم، بيروت، لبنان . وراجع : فتح الباري، لابن حجر ،ج١١ ص ٣٠٣ ، ط رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض . ومختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ص ٢٩٦، تحقيق: زهير الشاويش، ط الثامنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، المكتب الإسلامي، بيروت . ومفتاح السعادة، لطاش كبرى زاده، ج٣ ص ٤٣٩، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، ط عام ١٩٦٨م، دار الكتب الحديثة، القاهرة .

يقول ابن القيم : النفس فيها قوتان : قوة الإقدام، وقوة الإحجام، فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه، وقوة الإحجام إمساكاً عما يضره [١] .

ثانياً : حكم الصبر :

الصبر نصف الإيمان، فالإيمان نصفان : نصف صبر، ونصف شكر، وهو واجب في الجملة بإجماع الأمة [٢] وذلك لما يلي :

١- أن الله عز وجل أمر به في آيات عديدة في كتابه الكريم، والأمر في أصله يقتضي الوجوب، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ [٥][٦].

(١) عدة الصابرين، ص ١٨ .

(٢) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢ ص١١٥. وراجع : المحلى لابن حزم، ج٥ ص ٢١٦ ،ط عام ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م، مكتبة الجمهورية العربية، القاهرة . وكتاب الحوادث والبدع، لأبي بكر الطرطوشي، ص ١٣٤، بتحقيق : محمد بشير عون، ط الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩٩م، مكتبة المؤيد، الطائف .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٢٠٠ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٥٣.

(٥) سورة النحل ، الآية ١٢٧.

(٦) انظر : ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢ ص ١١٦.

٢- أنه سبحانه نهى عن ضده، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾[١]، فإن تولية الأدبار ترك للصبر والمصابرة، وقوله: ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[٢]، فإن إبطالها ترك للصبر على إتمامها، وقوله: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾[٣] فإن الوهن من عدم الصبر[٤] .

٣- أنه سبحانه رتب عليه خيري الدنيا والآخرة، فلا يفوز الإنسان بمحبوب، ولا ينجو من مكروه إلا بالصبر، وما كان كذلك كان تحصيله واجباً [٥].

أما حكمه التفصيلي فيختلف باختلاف نوع المصبور عنه أو المصبور عليه، فلكل نوع حكم يخصه من الأحكام التكليفية الخمسة .

فالصبر الواجب : هو الصبر على أداء الواجبات، والصبر على ترك المحظورات، ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يجزع فيها، وهذا باتفاق المسلمين [٦].

---

(١) سورة الأنفال، الآية ١٥.

(٢) سورة محمد، الآية ٣٣ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٣٩ .

(٤) انظر : المرجع السابق .

(٥) د. يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن ، ص ٢٩ ، ط الأولى ١٣٩٧هـ ١٩٩٧م، مكتبة وهبة، القاهرة .

(٦) انظر : ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج١٠ ص ٣٩، ط الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، مكة المكرمة .

والصبر المندوب : هو الصبر على فعل المستحبات، وعن فعل المكروهات، أو عما هو خلاف الأفضل والأمثل، ومثال ذلك : أن مقابلة السيئة بمثلها جائزة في الإسلام، وأفضل منها العفو والصفح، ومن هنا يكون الصبر عن مقابلة السيئة بمثلها أمراً مندوباً[(١)]، يقول عزوجل: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[(٢)]، ويقول أيضاً: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[(٣)].

والصبر المحظور: هو صبر الإنسان عن الطعام والشراب حتى الموت، وكذا صبره عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند المخمصة إذا خاف بتركه الموت، وكذا صبره على ما يقصد هلاكه من سبع أو حية أو حريق أو كافر يريد قتله .

والصبر المكروه : هو الصبر على فعل المكروه، والصبر على فعل المستحب، كصبر الرجل عن الطعام والشراب واللباس وجماع أهله حتى يتضرر بذلك بدنه .

وأما الصبر المباح : فهو الصبر عن كل فعل مستوي الطرفين خُيِّر بين فعله وتركه والصبر عليه [(٤)].

---

(١) انظر : د. يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن، ص ٢٩.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٦ .

(٣) سورة الشورى، الآية ٤٠.

(٤) انظر: ابن القيم، عدة الصابرين، ص ٣٤ ، ٣٥ .

الفصل الأول: أنواع الصبر

قسم العلماء - رحمهم الله - الصبر إلى أقسام عدة باعتبارات مختلفة [1]، وعند النظر في هذه التقسيمات وتفحصها نجد أنها وإن تشعبت فهي تندرج عموماً تحت ثلاثة أنواع أو أقسام رئيسة ، وهي :

---

(١) فمنهم من يقسم الصبر باعتبار محله إلى قسمين : صبر بدني، وصبر نفسي، ويقسم كل واحد منهما إلى نوعين : اختياري، واضطراري، فتكون أربعة أنواع . ويقسمه بعضهم باعتبار متعلقه إلى ثلاثة أقسام : صبر على الأوامر والطاعات، وصبر عن المناهي والمخالفات، وصبر على الأقدار والأقضية . ويقسمه بعضهم باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به إلى خمسة أقسام: صبر واجب، ومندوب، ومحظور، ومكروه، ومباح . ويقسمه بعضهم إلى ثلاثة أقسام : صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله . ويقسمه بعضهم إلى ستة أقسام: صبر على امتثال أوامر الله والانتهاء عما نهى عنه، وصبر على ما تقتضيه أوقات المسلم من رزية أجهده الحزن عليها أو حادثة قد أ كدَّه الهمّ بها، وصبر على ما فات إدراكه من رغبة مرجوّة وأعوز نيله من مسرة مأمولة، وصبر فيما يُخشى حدوثه من رهبة يخافها أو يحذر حلوله من نكبة يخشاها، وصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها وينتظر من نعمة يأملُها، وصبر على ما نزل من مكروه أو حَلّ من أمر مَخوف . راجع من هذا كلاً من: إحياء علوم الدين، للغزالي، ج ٤ ص ٦٣ - ٦٦، ومختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ص ٢٩٥- ٢٩٧، وعدة الصابرين، لابن القيم، ص ٢٢- ٣٥، ومدارج السالكين، لابن القيم، ج٢ ص ١١٩- ١٢٧، وأدب الدنيا والدين، للماوردي، ص ٢٧٧- ٢٧٩، تحقيق : مصطفى السقا، ط الرابعة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، دار الكتب العلمية، بيروت .

١- الصبر على طاعة الله .

٢- الصبر عن معصية الله .

٣- الصبر عن المحن والمصائب .

وقد آثرت الاقتصار على بحث هذه الأنواع الثلاثة، رغبة في الاختصار، وتجنباً للتكرار، أتناولها في ثلاثة مباحث، وذلك على النحو التالي :

المبحث الأول : الصبر على طاعة الله :

المراد بالصبر على الطاعة: الصبر على أداء العبادات والطاعات التي فرضها الله سبحانه على عباده المسلمين؛ لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية[١]، وذلك لثقل أداء العبادات ولا سيما عند تسلط الشيطان وغلبة الهوى وحب الركون إلى الراحة والخمول والكسل، فمن العبادات ما يثقل على النفس أداؤها بسبب الكسل كالصلاة، ومنها ما يثقل على النفس أداؤها بسبب البخل كالزكاة، ومنها ما يثقل على النفس أداؤها بسببهما معاً، كالحج والجهاد، فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد[٢]، وحاجة المسلم إلى هذا النوع من الصبر لا شك حاجة ماسة . وفيه جاء قوله جل شأنه خطاباً لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين،ج ٤ ص ٦٧.

(٢) انظر : المرجع السابق، وابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٩٧.

بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[١]. وقد استخدم القرآن هنا صيغة الافتعال من الصبر (اصطبر) مكان الصيغة المعتادة (اصبر)، لأن الافتعال يدل على المبالغة في الفعل، فزيادة المبنى تدل في العادة على زيادة المعنى، وما ذاك إلا لأن الطريق إلى طاعة الله مليئة بالمعوقات من داخل النفس ومن خارجها[٢].

يقول أبو الحسن الماوردي : الصبر على امتثال ما أمر الله تعالى به، والانتهاء عما نهى الله عنه تخلص به الطاعة، وبخلوص الطاعة يصح الدين، وتُؤدَّى الفروض، ويستحق الثواب...، وليس لمن قلَّ صبره على طاعة حظ من بِرّ، ولا نصيب من صلاح . ومن لم ير لنفسه صبراً يُكسبها ثواباً ويدفع عنها عقاباً كان مع سوء الاختيار بعيداً من الرشاد، حقيقاً بالضلال... وهذا النوع من الصبر إنما يكون لِفَرْط الجزَع، وشدة الخوف، فإن من خاف الله عز وجل صَبَرَ على طاعته، ومن جَزِع من عقابه وقف عند أوامره [٣].

وقد قص لنا القرآن الكريم قصة عجيبة تمثل نموذجاً فريداً للصبر على الطاعة، وهي قصة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، فقد رأى خليل الرحمن إبراهيم في المنام أنه يذبح إسماعيل - ورؤيا

(١) سورة مريم، الآية ٦٥.

(٢) د. يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن، ص ٣٩.

(٣) أدب الدنيا والدين، ص ٢٧٧.

الأنبياء وحي - ففهم الإشارة وعرف المراد، فجاء بابنه المطلوب وعرض عليه الأمر قائلاً : ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾[١] ؟، فما الموقف الذي اتخذه الفتى إسماعيل وقد طُلب منه تقديم عنقه للسكين ، بعد أن اشتد ساعده وصلب عوده ونضر شبابه ؟!!. لقد تمثَّل موقفه عليه السلام بجملتين قالهما لأبيه خلدتاه في سجل الأنبياء الصابرين ، وجعلتا منه قدوة للمؤمنين الصالحين: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٢]. وصدَّق العملُ القولَ، وأسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه، وتله أبوه للجبين، وتهيأ للذبح بالسكين . وهنا كان الابتلاء قد بلغ غايته، وحقق ثمرته، حيث نفذ الوالد وولده ما أمرهما الله به دون تردد أو ارتياب، ونجحا في الامتحان، فلا غرو أن جاءت البشرى من السماء بقوله تعالى: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾[٣][٤].

وقد كان الهادي الأمين صلى الله عليه وسلم إماماً لأمته، وقدوة في صبره على طاعة ربه، ضرب مثلاً عالياً في جهاده لأعداء

(١) سورة الصافات ،الآية ١٠٢.
(٢) سورة الصافات ، الآية ١٠٢.
(٣) سورة الصافات الآيات ١٠٤- ١٠٧.
(٤) انظر: د. يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن، ص ٧٤ ، ٧٥.

الله ودعوة الأمة إلى الصراط المستقيم بعد أن طمس معالم الشرك والوثنية وقوّض آطامها الواهية، وغرس بذرة التوحيد قوية الجذور ثابتة الأركان يرفرف عليها لواء العز والنصر والتمكين[1].

ولعظم شأن الصبر على الطاعة، ورد الأمر به في النصوص الشرعية في أكثر من نوع من أنواع العبادات والطاعات، ومن ذلك:

١- الأمر به على الصلاة، عمود الدين، والركن الثاني من أركان الإسلام، حيث يقول تعالى: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾[2].

٢- الأمر به على الجهاد في سبيل الله، ذروة سنام الإسلام، حيث يقول تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝** ﴾[3]، ويقول صلى الله عليه وسلم: ((**يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا**))[4].

---

(١) د. صالح الخزيم، الصبر، ص ٢٣، ط عام ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض .

(٢) سورة طه، الآية ١٣٢.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان ٤٥ ، ٤٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الجهاد)، الباب ١١٢، الحديث رقم ٢٩٦٦، ج٦ ص ١٢٠. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب (الجهاد) باب (كراهية تمني لقاء العدو)، ج ١٢ ص ٤٦ .

٣- الأمر به على القيام بأمر الدعوة إلى الله، حيث يقول سبحانه على لسان لقمان الحكيم في وصاياه لابنه: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[1]، فالداعية بأمس الحاجة إلى خلق الصبر، إذ أن حكمة الباري جل شأنه اقتضت أن يكون لأصحاب الدعوات أعداءً يمكرون بهم، ويكيدون لهم، ويتربصون بهم الدوائر، فقد كان لآدم عليه السلام إبليس، وكان لإبراهيم عليه السلام نمرود، وكان لموسى عليه السلام فرعون وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم أبوجهل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[2][3].

٤- الأمر به في الثبات على الدين والعض عليه بالنواجذ، وإن أصاب الصابر بسبب ذلك التكذيب والإيذاء والتعذيب، بل والقتل من جانب أهل الكفر والبدع والأهواء .

وقد قص لنا القرآن الكريم ما حصل لبني إسرائيل من تهديد فرعون لهم بتقتيل أبنائهم واستحياء نسائهم، فما كان من الصابر موسى عليه السلام إلا أن قال لهم : ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾[4].

---

(١) سورة لقمان، الآية ١٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٣١ .

(٣) انظر: د. حمد العمار، صفات الداعية، ص ٨٣ ، ط الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ، دار إشبيليا، الرياض .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٢٨.

ولا يخفى ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام من أذى وتعذيب وتنكيل من كفار قريش، ولا سيما في بداية البعثة النبوية، مما اضطر بعضهم إلى الهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم .

وقد كان بلال بن رباح رضي الله عنه مضرب المثل في الثبات على الدين، حيث سامه سيده أمية بن خلف سوء العذاب للتخلي عن دينه فصبر وصابر حتى أتاه الفرج من عند الله بإعتاق أبي بكر رضي الله عنه له بعد شرائه من أمية بن خلف .

ويحتاج العبد إلى الصبر على الطاعة في ثلاث حالات :

الأولى : قبل الشروع في الطاعة، وذلك بتصحيح النية والإخلاص، والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات، وعقد العزم على الوفاء بهذه الطاعة .

الثانية : الصبر حال القيام بالطاعة، وذلك بملازمة الصبر عن التقصير فيها، وملازمة استصحاب النية، وحضور القلب بين يدي المعبود .

الثالثة : الصبر بعد الفراغ من الطاعة، وذلك بالصبر عن الإتيان بما يبطلها، والصبر عن النظر إليها بعين العجب والتعظم، والصبر عن نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية [1].

---

(١) انظر في هذا كلاً من : الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٤ ص ٦٧، وابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٩٧، وابن القيم، عدة الصابرين، ص ٦٩ ، ٧٠ والمكي، قوت القلوب، ج١ ص ١٩٦، ط دار صادر، بيروت .

المبحث الثاني : الصبر عن معصية الله :

المراد بالصبر عن المعصية: الصبر عما نهى الله عنه من المحرمات والمعاصي، وقمع الشهوات، ومجاهدة النفس عن قربانها، وقهرها عن هواها، وكبح جماحها عن الوقوع في حمأة الرذائل[١]، يقول تعالى في بيان عاقبة الصبر عن المعصية: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾[٢].

يقول ابن تيمية : يحتاج المسلم إلى أن يخاف الله، وينهى النفس عن الهوى...، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها كان نهيه عبادة لله وعملاً صالحاً . وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله[٣]، فيؤمر بجهادها كما يؤمر بجهاد من يأمر بالمعاصي ويدعو إليها، وهو إلى جهاد نفسه أحوج، فإن هذا فرض عين وذاك فرض كفاية، والصبر في هذا من أفضل الأعمال، فإن هذا الجهاد حقيقة ذاك الجهاد، فمن صبر عليه صبر

---

(١) د. صالح الخزيم، الصبر، ص ٢٥.

(٢) سورة النازعات، الآيتان ٤٠ ، ٤١.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند بلفظ : المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، الحديث رقم (٢٣٩٥٨) ج ٣٩ ص ٣٨١. وقد صحح إسناده محققو المسند، كما صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٥٤٩)، ج٢ ص ٨٩، ط عام ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض .

على ذلك الجهاد، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((**والمهاجر من هجر السيئات**))[1][2].

ويقول الغزالي في الصبر عن المعصية : ما أحوج العبد إلى الصبر عن المعاصي، وقد جمع الله تعالى أنواعها في قوله تعالى: ﴿ **وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ** ﴾[3]...، وأشد أنواع الصبر: الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة...، فإذا انضافت العادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها (إلا بالصبر)، ثم إن كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس[4].

ولذا فما أعظم صبر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في امتناعهم عن شرب الخمر لما نزل تحريمها تحريماً قاطعاً في قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝** ﴾[5]، حيث قالوا: انتهينا انتهينا، وأراقوا ما

---

(١) راجع الهامش السابق .

(٢) مجموع الفتاوى، ج ١٠ ص ٦٣٥ ، ٦٣٦.

(٣) سورة النحل الآية ٩٠ .

(٤) إحياء علوم الدين، ج ٤ ص ٦٧ ، ٦٨ ، بتصرف يسير .

(٥) سورة المائدة ، الآيتان ٩٠ ، ٩١.

لديهم من خمر في طرقات المدينة[١]، فمع إشراب قلوبهم حبها، وأسرها لنفوسهم، وشدة هيامهم بها، مع ذلك كله انتهوا عنها بانقياد تام، وأراقوها طواعية لله واستجابة وامتثالاً لأمره، وملكوا زمام النفوس التي طالما أدمنت شربها فاجتنبتها وانصرفت عنها دونما عود ورجعة[٢].

ويقول الغزالي : وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها[٣].

ويقول ابن القيم : مشقة الصبر بحسب قوة الداعي إلى الفعل وسهولته على العبد،فإذا اجتمع في الفعل هذان الأمران كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر[٤].

وعليه فمن تدبر قصة نبي الله يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز التي قصها الله في القرآن الكريم[٥]، يعلم مدى قوة صبره وتحمله، فقد كان الدافع إلى ارتكاب المعصية معها قوياً، كما كانت

---

(١) راجع في هذا : جامع البيان، للطبري، ج٥ ص ٣٦ - ٣٨، ط الثالثة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت . والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج٦ ص ١٨٩ .

(٢) د. صالح الخزيم، الصبر، ص٢٦.

(٣) إحياء علوم الدين، ج ٤ ص ٦٨. وانظر: ابن القيم، عدة الصابرين، ص ٧٥ ، ٧٦.

(٤) عدة الصابرين، ص ٧٤ .

(٥) راجع سورة يوسف، الآيات ٢٣ - ٥٣.

الظروف مهيئة وميسرة لذلك، من حيث إنه عليه السلام كان شاباً، والشاب تتوق نفسه إلى النساء، وعزباً ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريباً والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه في بلد أهله ومعارفه، ومملوكاً والمملوك أيضاً ليس وازعه كوازع الحر، والمرأة جميلة وذات منصب، وهي سيدته، وقد توفر المكان الآمن وغاب الرقيب، وهي الداعية إلى نفسها، والحريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن أو الصغار[1].

ولكنه مع هذه الدواعي كلها صبر بعداً عن المعاصي والآثام، وإيثاراً لما عند الله من أجر كبير وثواب عظيم، حيث رفض بشمم واستعلى بإيمان قائلاً : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2]، فزاده الله عزاً ورفعة في دنياه وأخراه.

المبحث الثالث : الصبر على المحن والمصائب :

المراد بالصبر على المحن والمصائب: الصبر على ما يقدره الله سبحانه على عبده من كوارث مفجعة ومصائب مؤلمة، وابتلاء وامتحان مهما كانت أسبابه، ومهما تشكل وتلوّن، فقد يكون بفقد عزيز، أو بحلول نازلة تحزنه، وقد يكون بفادحة تجتاح ماله، أو علة

---

(١) انظر : ابن القيم ، مدارج السالكين، ج٢: ص ١١٩. والشيخ عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٩٦، ط الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت .

(٢) سورة يوسف، جزء من الآية ٢٣.

جسدية مستعصية تعطله عن الحركة، أو فشل ذريع في محاولة خطط عليها مستقبله[١]، ونحو ذلك من أنواع المحن والبلايا والمصائب التي تصيب البشر والتي أكد الله عزوجل وقوعها بقوله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[٢].

والصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر ، ويتأكد وقوع البلاء في حق المؤمنين الصادقين، وعلى قدر الإيمان واليقين يكون الابتلاء ، ولذا فإن الأنبياء – صفوة البشر – هم أشد الخلق ابتلاءً في دار الابتلاء، كما ورد في حديث مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنهما أنه قال: (قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟، قال: **الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**)[٣].

فالصبر على المحن والمصائب يكفر الله به الخطايا، ويمحو به

---

(١) انظر :د. صالح الخزيم ، الصبر، ص ٢٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٥.

(٣) رواه الترمذي في سننه في كتاب (الزهد)، الباب (٥٧) الحديث رقم ٢٤٠٣، ج٤ ص ٦٠١ ، ٦٠٢ ، وقال : حديث حسن صحيح ورواه ابن ماجه في سننه برقم ٤٠٢٣، ص ٦٦٥، والدارمي في سننه برقم ٢٧٨٦، ج ٢ ص ٢٢٨. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٤٣، ج ١ص ٢٧٣.

السيئات، ويؤكد ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((**ما يصيب المسلم من نصب**[1] **ولا وصب**[2]**، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**))[3]، وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**من يرد الله به خيراً يصب منه**))[4][5]، وجاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((**ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر**))[6] .

يقول ابن حجر: وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل

---

(١) النصب : التعب .

(٢) الوصب : المرض، وقيل : المرض اللازم، كما جاء في فتح الباري، لابن حجر، ج١٠ ص ١٠٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (المرضى)، الباب (١)، الحديث رقم ٥٦٤١، ج ١٠ ص ١٠٣.

(٤) أي : يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها إذا صبر واحتسب . انظر : ابن حجر، فتح الباري ،ج١٠ ص ١٠٨.

(٥) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (المرضى)، الباب (١)، الحديث رقم ٥٦٤٥، ج ١٠ص ١٠٣.

(٦) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (المرضى)، الباب (٢)، الحديث رقم ٥٦٤٧، ج١٠ ص ١٠٣.

مؤمن، لأن الآدمي لا ينفك غالباً من ألم بسبب مرض أو هم أو نحو ذلك مما ذُكر، وأن الأمراض والأوجاع والآلام - بدنية كانت أو قلبية - تكفر ذنوب من تقع له[١]، فالمؤمن ممتحن في دنياه مبتلى فيها بما يطهره من الذنوب والآثام، ويمحصه من الخطايا، وينقيه من أدران المعاصي وأوضار السيئات[٢]، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**))[٣] .

كما أن الصبر على أنواع المحن والمصائب يورث الجنة ، وقد ورد ذلك في العديد من النصوص الشرعية منها :

أ- في الابتلاء بالصرع : فقد روي عن عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه أنه قال : قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت: بلى، قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أُصرعُ وإني أتكشفُ فادع الله لي، قال: (**إن شئتِ صبرت ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يُعافيك**)

(١) فتح الباري، ج١٠ ص ١٠٨.

(٢) د. صالح الخزيم، الصبر، ص ٣٤.

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الزهد)، باب (في أحاديث متفرقة)، ج١٨ ص ١٢٥.

فقالت: أصبرُ، فقالت: إنـي أتكشفُ فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها[1]، وفي الحديث فضل من يصرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة و لم يضعف عن التزام الشدة[2].

ب- في الابتلاء بفقد البصر : فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله قال: (**إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه**[3] **فصبر عوضته منهما الجنة**)[4].

ج- في الابتلاء بفقد الأصفياء والأولاد : فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**يقول الله تعالى : ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضت صَفيّه من أهل الدنيا، ثم احتَسبَه إلا الجنة**))[5].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال النبي صلى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (المرضى)، الباب (٦)، الحديث، رقم ٥٦٥٢، ج١٠ ص ١١٤.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج١٠ ص ١١٥.

(٣) أي : عينيه .

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (المرضى)، الباب (٧)، الحديث رقم ٥٦٥٣، ج ١٠ص ١١٦.

(٥) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الرقاق)، الباب (٦)، الحديث رقم ٦٤٢٤، ج١١ ص ٢٤١ ، ٢٤٢.

الله عليه وسلم : ((**ما من الناس مسلم يُتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث**[١] **إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم**))[٢] .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن النساء قلن للنبي صلى الله عليه وسلم : اجعل لنا يوماً، فوعظهن وقال : ((**أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجاباً من النار**، قالت امرأة : واثنان ؟، **قال : واثنان**))[٣] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟، فيقولون : نعم، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حَمِدك واسترجع، فيقول الله : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد**))[٤].

---

(١) أي لم يبلغوا الحلم فتكتب عليهم الآثام .

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الجنائز) ، الباب (٦) ، الحديث رقم ١٢٤٨، ج٣ ص ١١٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في الموضع السابق برقم ١٢٤٩. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب (البر والصلة والآداب)، باب (فضل من يموت له ولد فيحتسبه)، ج ١٦ ص ١٨١.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب (الجنائز)، باب (فضل المصيبة إذا احتسب)، الحديث رقم ١٠٢٢، ج٣ ص ٣٤١، وقال : حديث حسن غريب .

وقد سطر أنبياء الله ورسله أروع الأمثلة في الصبر على البلاء، فهذا نبي الله أيوب عليه السلام كان لـه من الدواب والأنعام والحرث الشيء الكثير، كما كان له أولاد كثيرون ومنازل مرضية، فابتلي في ذلك كله وذهب عن آخره، ثم ابتلي بمرض عم سائر بدنه، ولم يبق منه شيء سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عزوجل، حتى عافه الجليس وأفرد في ناحية من البلد، ولم يبق من يرق لـه ويحنو عليه سوى زوجته التي كانت تقوم بأمره، وإذا اشتدت بها الحاجة خدمت الناس من أجله . واستمر به هذا البلاء سبع سنين، فلم يضق صدره عليه السلام ولم يتململ من الضر، ولم يزد في دعاء ربه عن وصف حاله : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ ووصف ربه بصفته: ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾، ثم لا يدعو بتغير حاله صبراً على بلائه، بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله للعليم الخبير، اطمئناناً على علمه بالحال، وثقة باستجابته في كشف ضره، فاستجاب الله لـه النداء، فكانت الرحمة وكانت نهاية الابتلاء، حيث رفع الله عنه الضر في بدنه فإذا هو معافى صحيح، قد زال عنه ما مسه وأهمه، ورفع عنه الضر في أهله فعوضه الله عمن فقد منهم ورزقه مثلهم[1]. يقول عز وجل : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي

(1) انظر كلاً من : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ج٣ ص ١٨٨، ط عام ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، دار المعرفة ، بيروت. و د . صالح الخزيم، الصبر، ص ٥٣ – ٥٥. وراجع : الزهد، للإمام أحمد بن حنبل، ص ١١٣، ط الأولى =

مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[1] .

وهذا نبي الله يعقوب عليه السلام امتحن أولاً – على كبر سنه ورقة عظمه – بفقد مهجة فؤاده وأحب أبنائه إليه يوسف عليه السلام، إذ كاد له إخوته وطرحوه في الجب، وجاءوا إلى أبيهم بدم كذب كدليل مقنع بأن الذئب أكله . ولم يكن الفراق بين يعقوب وابنه كأي فراق آخر بين حبيبين يعرف كلاهما أين يقيم صاحبه، ويرجو أن ينتهي الفراق يوماً ما بلقاء قريب، وإنما كان فراقاً بعد مؤامرة انتهى إلى انقطاع كلي بين الابن وأبيه، كما لم تكن هذه المؤامرة من غرباء موتورين، وإنما كانت كيداً من إخوة لأخيهم، وكذباً من أبناء على أبيهم، علمه الوالد الحنون في قرارة نفسه، فقال صابراً محتسباً : ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[2] .

ثم امتحن ثانياً بفقد ابنه الآخر، الشقيق الأصغر ليوسف وهو بنيامين، فقال كما قال في المرة الأولى : ﴿ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ

= ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١) سورة الأنبياء ، الآيتان ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ١٨.

أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾، ورجا ربه بلسان صادق وقلب ينتظر فرج الله ولطفه وعونه: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]. واشتد به الحزن وأخذ منه الأسى كل مأخذ، فقد هاج فقد ولده الثاني - بنيامين - ذكرى فقد ولده الأول - يوسف - والأسى يبعث الأسى .

ثم امتحن ثالثاً بفقد بصره، حيث ابيضت عيناه من شدة الحز ن، فهو كئيب حزين ساكت لا يشكو أمره إلى مخلوق، مما حدا بأبنائه إلى الشفقة عليه، فقالوا: - رفقاً به - لا تكاد تفارق ذكر يوسف حتى تضعف قواك أو تهلك ، فقال : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وحده، فهو الذي يكشف الضر ويجيب دعاء المضطر، وإليه المشتكى وبيده إجابة الدعاء[2]. وفي هذا يقول عز وجل : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٨٣ .

(٢) انظر : د. يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن ، ص ٦٨ ، و د. صالح الخزيم، الصبر، ص ٥٨ - ٦١.

(٣) سورة يوسف، الآيات ٨٤ - ٨٦ .

وانتهى به الحال بعد سنين من الصبر والتحمل إلى كشف الضر عنه، حيث ردَّ الله إليه بصره، وجمعه بابنيه المفقودين، واستقر به المقام مع أهله بمصر آمنين من الجهد والقحط [(١)].

وهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ابتلي بأنواع البلايا والمحن، فقد ابتلي بوفاة عمه أبي طالب الذي كان يسانده ويحميه وينافح عنه، كما كان بمثابة الحصن الحصين الذي تحتمي به الدعوة الإسلامية من هجمات الكبراء والسفهاء . وبعد وفاة عمه بشهرين أو ثلاثة ابتلي بوفاة زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها التي عاشت معه ربع قرن تحن عليه وتسري عنه وتخفف آلامه وتؤازره في أحرج أوقاته وتواسيه بنفسها ومالها [(٢)].

وابتلي صلى الله عليه وسلم بوفاة جميع أولاده في حياته ما عدا ابنته فاطمة رضي الله عنها، كما ابتلي بمقتل سبعين من أصحابه في غزوة أحد، وكان من بينهم عمه وحبيبه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، هذا بالإضافة إلى ما لحقه من صنوف الأذى من كفار

---

(١) راجع الآيات ٨٧ - ١٠٠ من سورة يوسف .

(٢) انظر :صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ١١٢، ١١٣ ، ط الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، دار القلم، بيروت . و د. محمد عبد القادر أبوفارس، الابتلاء والمحن في الدعوات، ص ٣٥، ط دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة .

قريش، من تكذيبه، وتأنيبه، وسبه، والاستهزاء به، وتخويفه، ورميه بالجنون، وإلقاء القاذورات عليه وهو يصلي وعلى باب منزله، ومطاردته، ومحاولة قتله... ونحو ذلك [1]. فصبر على ذلك كله صبر المؤمن بربه الواثق بنصره المتوكل عليه والراضي بقضائه، فَمنَّ الله عليه بالنصر والتمكين وإعزاز الدين، وإظهاره على كل دين، وقمع الجاحدين والكفرة والمشركين .

الفصل الثاني : آداب الصبر

عند حلول البلاء بالعبد يتبين قوي الإيمان واليقين من غيره، فالعبد الموقن بالله والمؤمن به إيماناً قوياً جازماً يلتجئ إلى الله تعالى إذا نزل به البلاء، ويلتزم بآداب الصبر التي جاءت الشريعة الإسلامية بالأمر بها والحث عليها، أو جاءت بالنهي عن ضدها .

وهذه الآداب منها آداب ظاهرة جَليّة تظهر على اللسان والجوارح، ومنها آداب خَفيّة قلبية . وسأخصص في هذا الفصل - إن شاء الله - لكل نوع منهما مبحثاً مستقلاً، أتناول فيه هذه الآداب بشيء من البيان والتفصيل؛ من خلال ما ورد بشأنها من نصوص شرعية وأقوال مأثورة لعلماء الأمة وأئمتها، وذلك على النحو التالي :

---

(١) راجع : كتاب الفرج بعد الشدة، للقاضي أبي علي التنوخي، ج١ ص ٨٢ - ٨٥، تحقيق : عبود الشالجي، ط عام ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، دار صادر، بيروت .

المبحث الأول : آداب الصبر الظاهرة :

تتمثل أبرز آداب الصبر الظاهرة فيما يلي :

١- الصبر عند أول حلول البلاء أو المصيبة بالعبد :

فقد دلت النصوص الشرعية أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو[١]، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر، فقال: (**اتقي الله واصبري،** قالت : إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي و لم تعرفه، فقيل لها : إنه النبي صلى الله عليه وسلم، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، **فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى**)[٢] .

يقول ابن ناصر الدين الدمشقي في تعليقه على هذا الحديث: معناه أن كل ذي مصيبة آخر أمره الصبر، ولكنه إنما يحمد عند حدتها وفور شدتها، لأن مصير ذي الجزع إلى السلوان، ولو أقام على قبر ميته مدة زمان [٣].

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٣ ص ١٥٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الجنائز) ، الباب (٣١) ، الحديث رقم ١٢٨٣، ج ٣/ص ١٤٨. رواه مسلم في صحيحه في كتاب (الجنائز)، باب (الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى)، ج٦ ص ٢٢٧.

(٣) برد الأكباد عند فقد الأولاد، ص ١٣، ١٤ ، ط مطبعة المدني ، القاهرة .

ويقـول ابن القيم : إذا كان آخر الأمر الصبر؛ والعبد غير محمود، فمـا أحسـن بـه أن يسـتقبل الأمـر في أوله بما يستدبره الأحمق في آخره . وقد قال بعض العقلاء : من لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم[1] .

وروي عـن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال للأشعث ابـن قـيس : إنـك إن صـبرتَ جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعـتَ جـرى عليك القلم وأنت مأزور، وقد ذكر ذلك أبو تمام في شعره فقال :

وقال عليٌّ في التعازي لأشعثٍ ... وخاف عليه بعضَ تلكَ المآثِمِ
أتصبر للبلـوى عَـزَاءً وَخَشْيـةً ... فتؤجَر أو تسلُو سُلُو البهائمِ؟[2]

٢- الاسترجاع :

الاسترجاع : هو قول المصاب إنا لله وإنا إليه راجعون، كما قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[3]. فقد جعل عزوجل كلمات الاسترجاع

---

(١) عـدة الصابرين، ص ٥٥. وانظر: ابن تيمية، جواب أهل العلم والإيمان، ص ١٥، ط عام ١٣٧٥هـ، دار المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة .

(٢) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٢٧٨.

(٣) سورة البقرة الآيات ١٥٥ - ١٥٧.

هذه الجامعة لمعاني الخير ملجأ وملاذاً لذوي المصائب، وعصمة للممتحنين من الشيطان لئلا يتسلط عليهم فيوسوس لهم بالأفكار الرديئة، فيهيج ما سكن، ويظهر ما كمن . فإن قوله (إنا لله) : إقرار بالعبودية والملك لله، ولله المالك أن يفعل في ملكه ما يشاء، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لإحدى بناته معزياً : ((**إن لله ما أخذ وله ما أعطى**))[1]. وقوله ((**إنا لله وإنا إليه راجعون**)): إقرار بأن الله يميتنا ثم يبعثنا، فله الحكم في الأولى وله المرجع في الأخرى، واعتراف بأن المصابين لابد أن يرجعوا إلى الله فيجازيهم على سخطهم إن سخطوا، وعلى صبرهم إن صبروا [2].

وقد تضمنت الآيات الكريمات الآنف ذكرها فوائد عدة منها:

أن الصابرين حقاً هم المسترجعون، فمن لوازم الصبر الاسترجاع .

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن العبد يُحصّل بالصبر والاسترجاع منزلة عالية في الجنة، كما تقدم معنا في حديث أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((**إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟،**

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الجنائز) ، الباب (٣٢)، الحديث رقم ١٢٨٤،ج٣ ص ١٥١. رواه مسلم في صحيحه في كتاب (الجنائز)، باب (البكاء على الميت) ، ج٦ ص ٢٢٤.

(٢) راجع : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي، ج٢ ص ١١٩.

فيقولون : نعم،فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده ؟، فيقولون : نعم، فيقول: ماذا قال عبدي ؟، فيقولون: حَمِدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد))[1] .

ومن ثمرات الاسترجاع بالإضافة إلى ما تقدم : نيل الأجر والثواب من عند الله، وإخلاف الله للمبتلى أو المصاب خيراً مما ابتلي به، فعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **(ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها)** قالت : فلما مات أبوسلمة قلت : أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟. ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] .

يقول ابن القيم معلقاً على الحديث : فانظر عاقبة الصبر والاسترجاع ومتابعة الرسول والرضا عن الله إلى ما آلت إليه، وأنالت أم سلمة نكاح أكرم الخلق على الله [3].

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الجنائز) ، باب (ما يقال عند المصيبة) ، ج ٦ ص ٢٢٠.

(٣) عدة الصابرين ، ص ٨٥.

٣- سكون اللسان :

ويكون سكون اللسان بأمور عدة، منها :

أ- كف اللسان عن الشكوى، فهو من لوازم الصبر، ولذا قيل في تعريف الصبر إنه : الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى[١] وقيل أيضاً : الصبر ترك الشكوى[٢].

والمقصود هنا اجتناب الشكوى إلى المخلوقين ، فهي مما يضاد الصبر وينافيه ويبطله، وإذا شكى العبد ربه إلى مخلوق مثله فقد شكى من يرحمه إلى من لا يرحمه .

يقول الشاعر :

وإذا عـرَتْك بَليـةٌ فاصبر لـها   صبـر الكـريـم فـإنـه بـك أعــلـمُ
وإذا شكوتَ إلى ابن آدم إنما   تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يرحمُ[٣]

إلا أنه لا يقدح في الصبر - كما يقول العلماء - إخبار المخلوق بالحال للاستعانة بإرشاده أو معاونته للتوصل إلى زوال ضرره، كإخبار المريض الطبيب بشكايته، وإخبار المظلوم من ينتصر به بحاله، وإخبار المبتلى من كان يرجو أن يكون فرج الله على يديه ببلائه[٤].

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦.

(٣) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج٢ ص ١٢٣.

(٤) انظر : ابن القيم، عدة الصابرين، ص ٢٧١، وابن حجر، فتح الباري، ج ١٠ ص ١٢٤ . ومحمد المنبجي، تسلية أهل المصائب، ص٢٢٠، ٢٢١. =

وأما الشكوى إلى الله فلا تنافي الصبر، ولذا قال يعقوب عليه السلام: ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[1]، مع قولـه: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾[2]، وقال أيوب عليه السلام شاكياً إلى ربه: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾[3] مع وصف الله له بالصبر[4].

ب- كف اللسان عن ندب الميت، أو النياحة عليه .

والندب : تعداد محاسن الميت وما يلقاه المصاب بفقده بلفظ النداء كقولهم : وَارَجُلاَهُ، واَجَبلاَهُ ،وانقطَاع ظهراه، وأشباه هذا[5].

وأما النياحة : فهي رفع الصوت بالندب على الميت وتعداد فضائله، كقول النائحة : واعضداه، واناصراه، ونحو ذلك[6].

وهذان الأمران محرمان شرعاً، لأن فيهما تظلماً واستغاثة

= ط الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م مكتبة دار البيان، دمشق . والنووي، شرح صحيح الإمام مسلم، ج٣ ص ١٠٢.

(١) سورة يوسف، الآية ٨٦ .

(٢) سورة يوسف، الآية ٨٣ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٨٣ .

(٤) انظر : عدة الصابرين ، ص١٧.

(٥) انظر: ابن قدامة ، المغني ، ج٣/ ص ٤٨٩، ٤٩٠ ، تحقيق :د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو ، ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، دار هجر، القاهرة .

(٦) انظر :عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٣٠١، ط عام ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض .

وتسخطاً من قضاء الله وقدره، وذلك ينافي الصبر ويبطله . يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((**اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب، والنياحة على الميت**))[١]، يقول ابن القيم : وأما الندب والنياحة فنص أحمد على تحريمهما . قال في رواية حنبل: النياحة معصية، وقال أصحاب الشافعي وغيرهم : النوح حرام، وقال ابن عبد البر : أجمع العلماء على أن النياحة لا تجوز للرجال ولا للنساء[٢] .

وأما الكلمة اليسيرة إذا كانت صدقاً لا على وجه النوح والتسخط فلا تحرم ولا تنافي الصبر الواجب، نص عليه الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فوضع فمه بين عينيه، ووضع يده على صدغيه وقال : (وانبياه واخليلاه واصفياه)، صلى الله عليه وسلم[٣] .

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب (إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة) ، ج٢ ص ٥٧.

(٢) عدة الصابرين ، ص ١١٠، ١١١ . وراجع كلاً من : المغني ، لابن قدامة ، ج٣ ص ٤٩٠. والروض المربع ، للبهوتي ، ج ١ ص ٣٥٨، ط عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م ، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض .

(٣) مسند الإمام أحمد ، الحديث رقم ٢٤٠٢٩، ج٤٠ ص ٣٢ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، بيروت . وقال محققو المسند : إسناده حسن .

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال : لما ثقل على النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب، فقالت : فاطمة : واكرب أبتاه، فقال : (**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**) فلما مات قالت : يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه [1][2].

ج - كف اللسان عن الصراخ والعويل، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَرِئَ من الصالقة والحالقة والشاقة) [3].

والصالقة : هي التي ترفع صوتها عند وقوع المصيبة .

د- كف اللسان عن الدعاء على النفس أو على الولد، فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة**

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب (المغازي)، الباب (٨٣) ، الحديث رقم ٤٤٦٢، ج ٨ ص ١٤٩.

(٢) ابن القيم ، عدة الصابرين ، ص ١١٣. وانظر : محمد المنبجي ، تسلية أهل المصائب ، ص ٨٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الجنائز)، الباب (٣٧) ، الحديث رقم ١٢٩٦، ج٣ ص ١٦٥. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب (الإيمان)، باب (تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية) ، ج ٢ ص ١١٠.

يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم))[١] .

٤- سكون الجوارح :

ويكـون سـكون الجـوارح باجتـناب كل فعل أو سلوك يظهر عـلى الجوارح مما ينافي الصبر ويشتمل على الجزع والتسخط، كلطم الخـدود، وشـق الثـياب والجـيوب، وتسـويد الوجه أو خمشه، ونتف الشـعر أو حلقـه، وتغـيير العـادة في الملـبس والمفـرش والمطعـم، ونحو ذلـك. يقـول الـنبي صـلى الله علـيه وسـلم : ((**لـيس مـنا مـن لطم الخـدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية))**[٢] . وتقدم معنا - آنفـاً - أن النبي صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة، والحالقة، والشـاقة . والحالقـة : هـي الـتي تحلـق شـعرها عـند وقـوع المصـيبة، والشاقة، هي التي تشق ثوبها عند وقوع المصيبة .

ويجـوز الـبكاء عـلى الميـت حـزناً على فراقه إذا كان على سبيل الـرحمة بـه و لم يصـاحبه ندب ولا نياحة [٣]، فلا يُخرج المصاب عن

---

(١) رواه الإمـام مسـلم في صـحيحه في كتاب (الزهد) ، باب (حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر)، ج ١٨ ص ١٣٩.

(٢) رواه الـبخاري في صـحيحه في كـتاب (الجنائز) ، الباب (٣٥) ، الحديث رقـم ١٢٩٤، ج ٣ ص ١٦٣. كما رواه في كتاب (المناقب) ، الباب (٨) ، الحديـث رقـم ٢٥١٩، ج٦ ص ٥٤٦. ورواه مسـلم في صحيحه في كتاب (الإيمان)، باب (تحريم ضرب الخدود)، ج ٢ص ١٠٩.

(٣) راجـع في هـذا: الروض المربع، للبهوتي، ج ١ ص٣٥٧. والمحلى، لابن حزم، ج٥ ص ٢١٦. وتسـلية أهـل المصائب ، للمنبجي ، ص ٢١٣ - ٢١٥، =

حد الصابرين ولا عن مقام الرضا بالقدر توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع ، فإن ذلك مقتضى ما أودعه الله عز وجل في الإنسان من شفقة ورحمة . ولذا ذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاة ابنه إبراهيم ، ولما قال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه - متعجباً - : وأنت يا رسول الله ؟، قال صلى الله عليه وسلم: ((**يا ابن عوف إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى ، فقال : إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**))[1] . وكذلك لما رُفع إليه صلى الله عليه وسلم ابن إحدى بناته ونَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كأنها في شَنَّة [2] فاضت عيناه صلى الله عليه وسلم ، ولما قال له سعد بن عبادة رضي الله عنهما - متعجباً - : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : ((**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**))[3] .

= وص ٢٢٣، ٢٢٤ .

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الجنائز) ، الباب (٤٣) ، الحديث رقم ١٣٠٣ ج ٣ ص ١٧٢، ١٧٣. وروى مسلم نحوه من حديث أنس بن مالك في كتاب (الفضائل) ، باب (رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه) ج١٥ ص ٧٤.

(٢) تقعقع : بفتح التاء والقافين ، والشنة : القربة البالية . والمعنى : أن نفسه ، وهو ينزع ، لها صوت وحشرجة كصوت الماء إذا أُلقي في القربة البالية .

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الجنائز) ، الباب (٣٢) ، الحديث رقم ١٢٨٤، ج٣ ص ١٥١. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، =

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب، حيث يقول ما نصه : لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب، وذلك لا ينافي الرضا، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه، وبهذا يُعرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لما بكى على الميت وقال : ((**إن هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**))، فإن هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت، فإن الفضيل بن عياض لما مات ابنه علي فضحك وقال : (رأيتُ أن الله قد قضى فأحببتُ أن أرضى بما قضى الله به) حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع. وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالى كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أكمل ، كما قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾** ﴾[1]، فذكر سبحانه التواصي بالصبر والمرحمة[2] .

٥- عدم إظهار أثر المصيبة :

ويكون ذلك باجتناب إظهار المصاب أثر المصيبة عليه، واجتناب تغيير الحال أو تعطيل المعاش، ونحو ذلك لما فيه من إظهار

= باب (البكاء على الميت)، ج٦ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥.

(١) سورة البلد ، الآية ١٧.

(٢) مجموع الفتاوى ، ج ١٠ ص ٤٧ .

الجزع المنافي للصبر .

يقول ابن قدامة : من حسن الصبر أن لا يظهر أثر المصيبة على المصاب[1].

ويقول ابن القيم : مما يقدح في الصبر إظهار المصيبة والتحدث بها ، وكتمانها رأس الصبر [2]. ويقول البهوتي : وكره لمصاب تغيير حاله وتعطيل معاشه[3] .

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : من إجلال الله ومعرفة حقه ألا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك[4] .

وروى الإمام أحمد عن الأحنف بن قيس أنه شكا إليه ابن أخيه وجعاً في ضرسه ، فقال الأحنف : لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد [5] .

وروي أنه مات ابن لأحد قضاة البصرة ، فاجتمع إليه العلماء والفقهاء فتذاكروا ما يتبين به جزع الرجل من صبره ، فأجمعوا أنه إذا ترك شيئاً مما كان يصنعه فقد جزع[6].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ، ص ٢٩٩.

(٢) عدة الصابرين ، ص ٢٧٤.

(٣) الروض المربع ، ج١ ص ٣٥٧.

(٤) ابن قدامة ، مختصر منهاج القاصدين ، ص ٣٠٠ .

(٥) الزهد، ص ٢٨٨.

(٦) ابن القيم ، عدة الصابرين ، ص ٢٧٣.

ولعل أبرز ما يُذكر في الالتزام بهذا الأدب : أم سليم رضي الله عنها زوجة أبي طلحة رضي الله عنه عندما توفي ولدها منه، وأبوه غائب، فتجلدت وصبرت صبراً جميلاً، حيث هيأت ابنها للدفن ونَحَّته في جانب المنزل، ولما قدم أبو طلحة جهزت له أكله، وتزينت له حتى أصاب منها حاجته، ولما سأل عن الصبي أخفت عنه موته، وأوهمته بأنه سكنت نفسه بالنوم لوجود العافية، وذلك حرصاً منها على عدم إزعاج زوجها بموت ابنه ليبيت مستريحاً بلا حزن . ولما أصبح أخبرته بموته فحمد الله واسترجع، وغدا على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فدعا لهما بأن يبارك لهما في ليلتهما .

يقول سفيان بن عيينة : قال رجل من الأنصار : رأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن [1].

٦ - اجتناب إقامة المآتم :

يقول الطرطوشي : وأما المآتم فممنوعة بإجماع العلماء[2] وقد روى الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه

---

(١) وقد روى هذه القصة الإمام البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك في كتاب (الجنائز)، الباب ٤١، الحديث رقم ١٣٠١، ج٣ ص ١٦٩. ورواها الإمام مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أم سليم، ج١٦ ص ١١، ١٢. كما رواها الإمام أحمد في المسند في الحديث رقم ١٢٠٢٨، ج ١٩ ص ٨٥ .

(٢) كتاب الحوادث والبدع ، ص ١٣٧.

قال: كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة[1]، يعني أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعدون الاجتماع عند أهل الميت بعد دفنه وأكل الطعام عندهم نوعاً من النياحة، لما في ذلك من التثقيل عليهم وشغلهم مع ما هم فيه من اشتغال الخاطر بموت الميت، وما فيه من مخالفة السنة، لأنهم مأمورون بأن يصنعوا لأهل الميت طعاماً، فخالفوا ذلك وكلفوهم صنعة الطعام لغيرهم، واتفق الأئمة الأربعة على كراهة صنع أهل الميت طعاماً للناس يجتمعون عليه مستدلين بحديث جرير بن عبد الله المذكور[2].

وأما إعداد الطعام لأهل الميت وبعثه إليهم فمستحب . يقول ابن قدامة : يستحب إصلاح طعام لأهل الميت يبعث به إليهم، إعانة لهم، وجبراً لقلوبهم، فإنهم ربما اشتغلوا بمصيبتهم وبمن يأتي إليهم عن إصلاح طعام لأنفسهم، وقد روى أبو داود في سننه بإسناده عن عبدالله بن جعفر أنه قال : لما جاء نعي جعفر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فإنه قد أتاهم أمر**

---

(١) المسند ، الحديث رقم ٦٩٠٥، ج١١ ص ٥٠٥، وقال محققو المسند حديث صحيح، وقال البهوتي : إسناده ثقات، الروض المربع ،ج١ ص ٣٥٥.

(٢) الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، ج ٨ ص ٩٥، ط دار الشهاب ، القاهرة .

يشغلهم))[١][٢].

٧- اشتغال المصاب بما هو أصلح له :

كالتوبة من الذنوب، ورد الودائع، وسداد الديون، وإخراج الزكاة، ورد المظالم لأهلها، والتصدق، وكتابة الوصية، والازدياد من الطاعات والعبادات، ونحو ذلك من أعمال الخير .

يقول ابن الجوزي : رأيت جمهور الناس إذا طرقهم المرض أو غيره من المصائب اشتغلوا تارة بالجزع والشكوى، وتارة بالتداوي إلى أن يشتد عليهم، فيشغلهم اشتداده عن الالتفات إلى الصالح من وصية، أو فعل خير، أو تأهب للموت، فكم ممن له ذنوب لا يتوب منها، أو عنده ودائع لا يردها، أو عليه دين أو زكاة، أو في ذمته ظلامة لا يخطر لها تداركها، وإنما حزنه على فراق الدنيا، إذ لا هم له سواها [٣].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الجنائز ، باب (صنعة الطعام لأهل الميت)، الحديث رقم ٣١٣٢، ج ٣ ص ١٩٥، ط دار إحياء السنة النبوية ، القاهرة . ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب الجنائز ، الباب (٥٩)، الحديث رقم ١٦١٠، ص ٢٨٢، ط مكتبة المعارف للنشر ، الرياض . كما رواه الترمذي في سننه في كتاب الجنائز، الباب (٢١) ، الحديث رقم ٩٩٩، ج٣ ص ٣٢٣ ، ط عام ١٤١٥هـ ١٩٩٥ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) المغني ، ج٣ ص ٤٩٦.

(٣) محمد المنبجي ، تسلية أهل المصائب ، ص ٣٢.

٨- البقاء في البلدة التي يصيبها وباء :

تدل الأحاديث الصحيحة أن من آداب الصبر أيضاً ولوازمه بقاء المسلم في البلد الذي يصيبه وباء وهو مقيم فيه، حيث روى البخاري عن عائشة رضى الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فقال : ((**كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للعالمين ،ما من عبد يكون في بلد يكون فيه ويمكثُ فيه لا يخرج من البلد صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد**))[١] .

كما روى البخاري أيضاً عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**إذا سمعتم به**[٢] **بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه**))[٣] .

المبحث الثاني : آداب الصبر الخفية :

تتمثل أبرز آداب الصبر الخفية فيما يلي :

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب القدر، الباب (١٥) ، الحديث رقم ٦٦١٩، ج١١ ص ٥١٤. وكتاب (الطب) ، الباب (٣١) ، الحديث رقم ٥٧٣٤، ج١٠ ص ١٩٢.

(٢) يعني الطاعون .

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب الطب، الباب (٣١) ، الحديث رقم ٥٧٣٠، ج١٠ ص ١٧٩.

١- الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره :

وذلك بألا يكون في قلبه شيء من الجزع على ما قضاه الله وقدّره عليه ، وألا ييأس على ما فاته ، ولا يفرح بما جاءه ، ويوقن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، قال تعالى: ﴿ **مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾** ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ **مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ** ﴾[٢].

قال علقمة لما سُئل عن هذه الآية: هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيرضى لها ويُسلم [٣] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((**إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**))[٤].

---

(١) سورة الحديد ، الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة التغابن ،الآية ١١.

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ص ٤٠٠، ٤٠١. والمنبجي، تسلية أهل المصائب ، ص ٢٠٩.

(٤) رواه الترمذي في سننه في كتاب الزهد، باب (ما جاء في الصبر على البلاء)، الحديث رقم ٢٤٠١، ج٤ ص ٦٠١، وقال : حديث حسن غريب . ورواه =

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : ما أبالي بالعسر رُميتُ أو باليسر، لأن حق الله تعالى في العسر الرضا والصبر، وفي اليسر الحمد والشكر[1] .

وعن سفيان الثوري أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾[2]: المطمئنين الراضين بقضائه المستسلمين له[3] .

ويقول ذو النون المصري : ثلاثة من أعمال التسليم : مقابلة القضاء بالرضى، والصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء[4] .

٢- الاستعانة بالله والتوكل عليه :

وذلك بأن يستعين المبتلى بالله في محنته، ويتكل عليه في مصيبته، ويطلب عونه على بلواه، ويستبق ثقته برحمته وقدرته على كشف ضره، ويأمل في عوضه وحسن جزائه، فعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخف حمل البلاء، لشهود العوض، كما يخف على كل متحمل مشقة عظيمة حملها ، لما يلاحظه من لذة عاقبتها ،

= ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب (الصبر على البلاء)، الحديث رقم ٤٠٣١، ص ٦٦٦، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٤٦، ج١ ص ٢٧٦ .

(١) التنوخي ، كتاب الفرج بعد الشدة ،ج ١ ص ١٧٧.

(٢) سورة الحج ، الآية ٣٤.

(٣) المنبجي ، تسلية أهل المصائب ،ص ٢١٠.

(٤) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج٢ ص ١٦٩.

وظفره بها [١] .

ومن لوازم الاستعانة بالله والتوكل عليه ألا يفقد المبتلى ثقته في عون الله له مهما اشتد الخطب وعظم البلاء، وألا يقنط من رحمته سبحانه، فإن فعل فما ذلك بمبدل ما به من بلاء، بل سيفقد به كل نافذة مضيئة، وكل رجاء في الفرج، وسيستبد به الضيق، فيزداد بلاءً على بلائه وكرباً على كربه [٢]، يقول تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ [٣] .

٣- حسن الظن بالله :

وذلك بأن يعلم المبتلى أن الذي ابتلاه أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه، ولا ليعذبه به، وإنما ليمتحن إيمانه وصبره ورضاه، وليسمع تضرعه وابتهاله، وليراه طريحاً ببابه، لائذاً بجنابه، مكسور القلب بين يديه، رافعاً الشكوى إليه [٤]. يقول عبد القادر الجيلاني : يا بني إن المصيبة ما

(١) المرجع السابق ، ج٢ ص ١٢٧.

(٢) انظر : أحمد فايز ، طريق الدعوة في ظلال القرآن ،ج١ ص ٢٣٠، ط الحادية عشر ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٣) سورة الحج ، الآية ١٥.

(٤) انظر: محمد المنبجي ، تسلية أهل المصائب ، ص ٢٢٥.

جاءت لتهلكك، وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيـمانك[1]. وعن أبي هريـرة رضـي الله عـنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**يقـول الله تعـالى: أنـا عـند حسـن ظـن عـبدي بي**))[2]. وسئل القاسم بن محمد عن الجزع، فقال: القول السيئ، والظن السيئ[3].

ومـن حسـن الظـن بالله أن يوقن المبتلى بأن ما أصابه من بلاء هـو خـير لــه، وإن ظهـر لــه في صـورة الشـر، فإن الله عز وجل لا يقضي لعباده إلا خيراً، علمه من علمه، وجهله من جهله، فما يقضيه الله من المنع لعبده المؤمن؛ عطاءٌ وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كـان في صـورة محـنة، وبـلاؤه عافـيةٌ وإن كـان في صورة بلية، ولكن لجهـل العبد وظـلمه وقِصَـر نظـره لا يعـد العطـاء والنعمة والعافية إلا ماالـتذ بـه في العـاجل، وتمتع به في القريب، وكان ملائماً لطبعه خالياً مـن الأذى، ومـا عـلم أن فـيما أصـابه مـن بـلاء شـحذاً لقواه، وعلواً لهمته، وتكفيراً لسيئاته، ورفعاً لدرجاته، ومضاعفة لحسناته [4].

(١) ابـن القـيم ، زاد المعـاد ، ج٤ ص ١٩٤، تحقـيق : شـعيب وعـبد القـادر الأرنؤوط ، ط الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
(٢) رواه البـخاري في صـحيحه في كتاب التوحيد، الباب (١٥) ، الحديث رقم ٧٤٠٥، ج١٣ ص ٣٨٤ . وراوه مسـلم في صـحيحه في كـتاب (الذكـر والدعاء)، باب (الحث على ذكر الله) ، ج ١٧ ص ٢، و ص ١١، ١٢.
(٣) ابن القيم ، عدة الصابرين ، ص ٢٧٣.
(٤) انظر : ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج٢ ص ١٦٢ ، ١٦٣.

٤- الإخلاص لله :

وذلك بأن يجعل المبتلى الغاية من صبره : ابتغاء وجه الله ومرضاته، والقرب منه ونيل ثوابه . وألا يشرك مع هذه الغاية أية غاية أخرى من الغايات الدنيوية، كالفخر بالتجلد وقوة التحمل، ونيل مدح الناس وثنائهم . يقول عز وجل في معرض بيانه لصفات أولي الألباب الذين وعدهم سبحانه بعقبى الدار :﴿ **وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ** ﴾[١]، يقول ابن سعدي رحمه الله : أي لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة، فإن هذا هو الصبر النافع الذي يحبس به العبد نفسه طلباً لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه، والحظوة بثوابه، وهو الصبر الذي من خصائص الإيمان . وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد، ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فليس هو الممدوح على الحقيقة[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**))[٣].

---

(١) سورة الرعد ، الآية ٢٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٤١٧.

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزهد، باب (تحريم الرياء) ، ج ١٨ ص ١١٥.

٥- عدم تمني الموت :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه ، فإن كان لابد فاعلاً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**))[١].

الفصل الثالث : فضائل الصبر

الصبر خصلة محمودة، وسجية مرغوبة، وخلق فريد، جميل العواقب، حميد الآثار، جم الفوائد، وكريم العوائد[٢]، وهو قوة نفسية وخلقية إيجابية فاعلة، تدفع المتحلي بها إلى مقاومة كل أسباب الخور والضعف والاستكانة، وتحمله على الصمود على طاعة الله، والثبات أمام الفتن والمغريات، والمحن والمكاره، إلى أن يلقى الله وهو عنه راض . وهو أيضاً قوة تحمل واختبار عزيمة، وسلاح نجاح المؤمن وفلاحه في الدنيا والآخرة .

وللصبر فضائل كثيرة وعظيمة ورد ذكرها في مواضع متفرقة من كتاب الله تعالى، ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكذا في العديد من الآثار الواردة عن سلف الأمة وعلمائها رضي الله

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (المرضى)، الباب (١٩)، الحديث رقم ٥٦٧١، ج ١٠ ص ١٢٧.

(٢) د. صالح الخزيم ، الصبر ، ص ١٤.

عنهم ورحمهم .

وسأبين هذه الفضائل - إن شاء الله - في ثلاثة مباحث .

أتناول في الأول منها : فضائل الصبر في القرآن الكريم .

وأتناول في الثاني : فضائل الصبر في السنة النبوية .

وأتناول في الثالث : فضائل الصبر في الآثار الواردة عن سلف الأمة وعلمائها .

وذلك على النحو التالي :

المبحث الأول : فضائل الصبر في القرآن الكريم

ذكر الله عز وجل الصبر وأشاد به في مواضع كثيرة في كتابه الكريم، يقول الإمام أحمد رحمه الله : ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً[(١)] .

والمتتبع للمواضع التي ذكر فيها الصبر والصابرون في القرآن الكريم يتضح له بجلاء لا يقبل الشك أن الصبر مقام من أرفع مقامات الدين، وخلق من أعظم أخلاق المؤمنين، ومنزلة من أَجَلّ منازل الصالحين، وشعبة من أبرز شعب الإيمان، وعروة من أوثق عرى الإسلام، حتى أن القرآن جعله مفتاح كل خير، وباب كل سعادة في الدنيا والآخرة[(٢)] .

---

(١) ابن القيم : عدة الصابرين ، ص ٧٧ . وانظر : مدارج السالكين ، ج٢ ص ١١٥ . وابن تيمية، مجموع الفتاوى ، ج ١٠ ص ٣٩ .

(٢) د. يوسف القرضاوي ، الصبر في القرآن ، ص ٥٣.

ولعل من أبرز فضائل الصبر في هذه المواضع الكثيرة في كتاب الله ما يلي [1]:

١- أن الله عز وجل قرن الصبر بأركان الإسلام وقيمه، ومقامات الإيمان:

أ- فقرنه سبحانه بالصلاة، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[2].

ب- وقرنه بالجهاد، فقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3].

وقال: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[4].

ج- وقرنه بعمل الصالحات عموماً، فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَأَجْرٞ كَبِيرٞ ﴾[5].

---

(١) راجع في هذا كلاً من: قوت القلوب، لأبي طالب المكي، ج١ ص ١٩٤ وما بعدها. وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج ١٠ ص ٣٩-٤١. و عدة الصابرين، لابن القيم، ص ٧٧-٨٢. ومدارج السالكين، ج٢ ص ١١٦، ١١٧. والصبر في القرآن، للقرضاوي، ص ٥٣-٦٤.

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٣.

(٣) سورة محمد، الآية ٣١.

(٤) سورة النحل، الآية ١١٠.

(٥) سورة هود، الآية ١١.

د- وقرنه باليقين، فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

هـ- وقرنه بالحق، فقال: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[2].

و- وقرنه بالصدق، فقال: ﴿ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ ﴾[3].

ز- وقرنه بالتقوى، فقال: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[4].

ح- وقرنه بالتوكل، فقال: ﴿ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[5].

ط- وقرنه بالشكر، فقال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[6].

٢- أنه سبحانه أخبر بمعيته للصابرين في آيات عدة :

منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[7]، يقول ابن سعدي:

---

(١) سورة السجدة، الآية ٢٤.

(٢) سورة العصر، الآيتان ٢، ٣

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٥ .

(٤) سورة يوسف، الآية ٩٠.

(٥) سورة العنكبوت، الآيتان ٥٨، ٥٩.

(٦) سورة لقمان، الآية ٣١.

(٧) سورة البقرة، الآية ١٥٣.

أي: مع من كان الصبر لهم خلقاً وصفة وملكة بمعونته وتوفيقه وتسديده، فهانت عليهم بذلك المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة تقتضي محبته ومعونته ونصره وقربه، وهذه منقبة عظيمة للصابرين، فلو لم يكن لهم فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله لكفى بها فضلاً وشرفاً [1].

٣- أنه سبحانه أخبر بظفرهم بمحبته :

فقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2].

٤- أنه سبحانه أطلق البشرى لهم بأن جمع لهم ثلاثة لم يجمعها لغيرهم :

وهي : الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[3].

٥- أنه سبحانه أوجب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم ، وتوفيتهم أجورهم بغير حساب :

فقال: ﴿ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ، ص ٧٥.

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٤٦.

(٣) سورة البقرة ، الآيات ١٥٥-١٥٧.

يَعْمَلُونَ ﴾[١] وقال: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٢].
أي : بغير حد ولا عد ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحله عند الله [٣].

٦- أنه سبحانه ضمن النصر والمدد لهم :

فقال: ﴿ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[٤]، وقال: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾[٥].

٧- وضمن لهم سلامتهم من شر الأشرار وحفظهم من كيد الأعداء :

فقال: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾[٦].

٨- أنه سبحانه امتدحهم وأثنى عليهم :

فقال: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

(١) سورة النحل ، الآية ٩٦.
(٢) سورة الزمر ، الآية ١٠.
(٣) ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن ، ص ٧٢١.
(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٢٥.
(٥) سورة الأعراف ، الآية ١٣٧.
(٦) سورة آل عمران ، الآية ١٢٠.

صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1]. يقول أبو طالب المكي : إن الله في هذه الآية حقق بالصبر صدق المؤمنين وتقواهم، وأكمل به وصفهم وأعمال برهم [2].

٩- أنه سبحانه أخبر باستحقاقهم دخول الجنة وتسليم الملائكة عليهم :

فقال: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[3]، وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾[4]، وقال أيضاً: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[5] .

١٠- أنه سبحانه أخبر أنه ما يُلَقَّى الأعمال الصالحة وجزاءها والحظوظ العظيمة إلا أهل الصبر :

فقال: ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾[6]، وقال: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٧.

(٢) انظر : قوت القلوب ، ج ١ ص ١٩٥.

(٣) سورة الإنسان ، الآية ١٢.

(٤) سورة الفرقان ، الآية ٧٥.

(٥) سورة الرعد ، الآيتان ٢٣، ٢٤ .

(٦) سورة القصص ، الآية ٨٠.

وَمَا يُلَقَّنهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[(١)] .

١١- أنه سبحانه أخبر أنه إنما ينتفع بآياته ويتعظ بها الصبار الشكور :

فقال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾[(٢)]، وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾[(٣)] وقال: ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾[(٤)].

١٢- أنه سبحانه خص أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة، الذين قامت بهم هاتان الخصلتان ووصوا بهما غيرهم:

فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾[(٥)].

١٣- أنه سبحانه جعل الصبر من عزم الأمور :

فقال: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾[(٦)]،

---

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٥.

(٢) سورة إبراهيم ، الآية ٥.

(٣) سورة لقمان الآية ٣١.

(٤) سورة سبأ ، الآية ١٩.

(٥) سورة البلد ، الآيتان ١٧، ١٨.

(٦) سورة الشورى ، الآية ٤٣.

وقال في وصايا لقمان لابنه: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[1].

١٤- أنه سبحانه جعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين :

فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

يقول سفيان بن عيينة في هذه الآية : أخذوا برأس الأمر فجعلهم رؤساء[3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين[4] . وخير مثال على ذلك : الإمام الفذ أحمد بن حنبل رحمه الله حينما امتحن المحنة العظيمة في فتنة القول بخلق القرآن، فصبر وصابر وثبت على الحق، فأورثه الله الإمامة في الدين، وأصبح إماماً لأهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني : فضائل الصبر في السنة النبوية

صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث نبوية كثيرة تبين

---

(١) سورة لقمان ، الآية ١٧.

(٢) سورة السجدة ، الآية ٢٤.

(٣) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج٢ ص ١٢٢.

(٤) المرجع السابق ، ج٢ ص ١١٧.

قيمة الصبر ، وتبرز منـزلته وفضله .

ولعل أهم ما بينته هذه الأحاديث وأبرزته من ذلك ما يلي :

١- تعريف الإيمان بالصبر والسماحة :

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الإيمان، فقال : ((**الصبر والسماحة**))[١] .

يقول ابن القيم معلقاً على هذا الحديث : وهذا من أجمع الكلام وأعظمه برهاناً وأوعبه لمقامات الإيمان من أولها إلى آخرها، فإن النفس يراد منها شيئان :

١- بذل ما أُمرت به وإعطاؤه، فالحامل عليه : السماحة .

٢- وترك ما نُهيت عنه والبعد عنه، فالحامل عليه : الصبر[٢].

٢- أن الصبر نبراس ينير معالم الطريق،و يكشف ظلم الحيرة، ويوضح حقائق الأمور [٣]:

فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه ، ص ٣٧، بتحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، دار ابن حزم، بيروت . ورواه الإمام أحمد في المسند من حديث عمرو بن عنبسة، ورجاله موثقون، انظر : الفتح الرباني، ج١ ص ٧٤، ط دار الشهاب، القاهرة . وأسنده ابن أبي شيبة في الإيمان برقم ٤٣، من حديث جابر بن عبد الله . وقال الألباني: إسناده صحيح ورجاله ثقات . راجع : سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٣ ص ٤٨٣.

(٢) مدارج السالكين ، ج٢ ص ١٢٢.

(٣) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص ٢٧٩.

عليه وسلم قال : ((**الصبر ضياء**)) [1].

يقول الإمام النووي معلقاً على الحديث : وأما قوله صلى الله عليه وسلم : والصبر ضياء، فمعناه الصبر المحبوب في الشرع، وهو الصبر على طاعة الله تعالى، والصبر عن معصيته، والصبر أيضاً على النائبات وأنواع المكاره في الدنيا، والمراد أن الصبر محمود ولا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصواب [2] .

٣- أن الصبر خير عطاء أعطيه الإنسان وأوسعه :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**ما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**))[3].

٤- أن الصابر على طاعة الله وملازمة عبادته، والصابر عن ارتكاب المعصية مع توفر دواعيها أحد السبعة الذين سيظلهم الله عز وجل في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، باب (فضل الوضوء)، ج٣ ص ٩٩، ١٠٠.

(٢) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ،ج٣ ص ١٠١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، الباب (٥٠)، الحديث رقم ١٤٦٩، ج٣ ص ٣٣٥. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر،ج ٧ ص ١٤٤، ١٤٥.

وسلم قال : ((**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**))[١] .

يقول المنبجي معلقاً على الحديث : ولذلك استحق هؤلاء السبعة أن يظلهم الله في ظله، لكمال صبرهم ومشقته على نفوسهم، فصبر الملك على العدل مع قدرته على الظلم والانتقام من رعيته، وصبر الشاب على عبادة الله ومخالفة هواه، وصبر الرجل على ملازمة المسجد، وصبر المتصدق على إخفاء الصدقة حتى عن شماله مع قدرته على الرياء، وصبر المدعو إلى الفاحشة مع جمال الداعي، وصبر المتحابين في الله في اجتماعهما وانفرادهما، وصبر الباكي من خشية الله على كتمان ذلك عن الناس، فهذه الأمور فيها مشقة على النفوس، فالصبر عليها بتوفيق الله وفضله وإحسانه إلى عبده صبر جميل عظيم[٢] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، الباب (١٦)، الحديث رقم ١٤٢٣، ج٣ ص ٢٩٢، ٢٩٣. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، باب (فضل إخفاء الصدقة)، ج٣ ص ١٢٠.

(٢) تسلية أهل المصائب ،ص ٢٠٤.

٥- أن الصبر على البلاء أحد أربع خصال من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة :

فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة : قلب شاكر : ولسان ذاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة لا تبغيه خوناً في نفسه ولا ماله**))[1].

٦- اقتران النصر بالصبر :

فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**اعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر**))[2] .

٧- توفيق الله عز وجل الصابرين :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه، ص ٣٦. كما رواه الطبراني في المعجم الكبير، الحديث رقم ١١٢٧٥، ج١١ ص ١٣٤، ط الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجال الأوسط رجال الصحيح، ج٤ص ٢٧٣. وقال المنذري في الترغيب والترهيب : رواه الطبراني بإسناد جيد، ج ٢ ص ٣٩٨، ط عام ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، دار الحديث، القاهرة .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، الحديث رقم ٢٨٠٣، ج٥ ص ١٨، ١٩، وصححه محققو المسند، كما صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٣٨٢، ج٥ ص ٤٩٦.

وسلم قال : ((**من يتصبر يصبره الله**))[(١)].

٨- عظم أجر الصبر على الأذى :

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**))[(٢)].

٩- تكفير الذنوب والخطايا :

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث عديدة - مرَّ بنا بعضها[(٣)] - أن الله عز وجل يكفر عن المؤمن سيئاته ويغفر له ذنوبه إذا صبر على ما يصيبه مما يشق عليه ويعنته من تعب ومرض وهم وحزن. وروي أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ **مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ** ﴾[(٤)] شق الأمر على كثير من الصحابة ، فقال أبو بكر رضي الله عنه للنبي

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد ، في الباب ١٨١، الحديث رقم ٣٩٠،ص ١٤٠، ١٤١ط الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، عالم الكتب ، بيروت . ورواه الإمام أحمد في المسند ، الحديث رقم ٥٠٢٢، ج٩ ص ٦٤. ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب(الصبر على البلاء) ، الحديث رقم ٤٠٣٢، ص ٦٦٦. ورواه كذلك الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة، الباب (٥٥) ، الحديث رقم ٢٥١٢، ج٤ ص ٦٦٢. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٩٣٩، ج٢ ص ٦١٤.

(٣) وذلك في المبحث الثالث من الفصل الأول .

(٤) سورة النساء ، الآية ١٢٣.

صلى الله عليه وسلم : كيف الصلاح بعد هذه الآية ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾، فكل سوء عملنا جزينا به؟، فقال صلى الله عليه وسلم : ((**غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟، ألست تنصب؟، ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء ؟، قال:بلى،قال: فهو ما تجزون به**))[1].

ومن ذلك أيضاً الصبر على الجهاد، فعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال : يا رسول الله أرأيت إن قُتلتُ في سبيل الله تُكفَّر عني خطاياي؟، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**نعم إن قُتلتَ في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر**))[2].

١٠- نيل المكافأة في الدنيا :

فمن كرم الله تبارك وتعالى على عباده الذين يبتليهم فيقابلون الابتلاء بالصبر، أنه يكافؤهم في هذه الحياة الدنيا، ويعوضهم على ما فقدوه . ومن هذا القبيل : ما حدث لأم سلمة رضي الله عنها

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ، الحديث رقم (٦٨) ، ج١ ص ٢٢٩، ٢٣٠. وقال محققو المسند : (حديث صحيح بطرقه وشواهده) .

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب (من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين)، ج ١٣ ص ٢٨، ٢٩.

حينما صبرت على فقد زوجها أبي سلمة واسترجعت، فعوضها الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم[١]. وكذا ما حدث لأم سليم زوج أبي طلحة رضي الله عنهما حينما صبرت على فقد ولدها واحتسبته عند الله، واستقبلت زوجها بالرضا والتسليم، فرزقها الله عوضاً عن ولدها تسعة من الأبناء يقرأون القرآن [٢].

١١- الظفر بالجنة في الآخرة :

من كرم الله سبحانه أيضاً أن المبتلى إذا صبر على بلواه لا تكفر عنه سيئاته فحسب ، ولا يكافئ في الدنيا فقط، بل ويظفر بالجنة في الآخرة .

وقد مر معنا ذكر الأحاديث النبوية التي تَعِدُ بالجنة لمن صبر على الابتلاء بالصرع، وعلى الابتلاء بفقد البصر، وعلى الابتلاء بفقد الأولاد والأصفياء [٣].

وكذا لمن صبر على البقاء في البلد الذي يظهر فيه مرض الطاعون وهو مقيم فيه[٤].

وأضيف هنا ما ورد بشأن الصبر على مشقة تربية البنات

---

(١) راجع ص ١٥٩ من هذا البحث .

(٢) راجع ص ١٦٨ من هذا البحث .

(٣) راجع ص ١٤٨- ١٥٠ من هذا البحث .

(٤) راجع ص ١٧١ من هذا البحث .

والقيام بشؤونهن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**من كان له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة برحمته إياهن**))، قال : فقال رجل : وابنتان يا رسول الله ؟ قال: ((**وابنتان**))، قال: فقال رجل: وواحدة يا رسول الله ؟، قال : ((**وواحدة**))[1].

١٢- إكرام الصابرين بتحية الملائكة لهم في الجنة :

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله** ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، **قال : أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور، وتُتقى بهم، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاءً، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته : ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم ؟، قال : إنهم كانوا عباداً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، وتُسد بهم الثغور، وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاءً، قال : فتأتيهم الملائكة عند**

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك في كتاب (البر والصلة)، الحديث رقم ٧٣٤٦ ج٤ ص ١٩٥، وقال : حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، تحقيق: مصطفى عطا ، ط الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت .

ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾))[1][2].

المبحث الثالث : فضائل الصبر في آثار سلف الأمة وعلمائها:

نقل عن سلف الأمة وعلمائها الكثير من الآثار والأقوال التي تبين قيمة الصبر ومنزلته وفضله، وأورد فيما يلي أهم هذه الآثار والأقوال :

١- يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وجدنا خير عيشنا بالصبر[3].

وفي رواية : إن أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً [4] .

---

(١) سورة الرعد ، الآية ٢٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، الحديث رقم ٦٥٧٠،ج١١ص ١٣١، ١٣٢. وابن حبان في صحيحه ، الحديث رقم ٧٤٢١، ج١٦ص ٤٣٨، ٤٣٩، بتحقيق : شعيب الأرنؤوط، ط الثالثة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م ، مؤسسة الرسالة، بيروت . ورواه الحاكم أيضاً في المستدرك في كتاب الجهاد ، وقال : حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد في ج١٠ ص ٢٥٩، وعزاه لأحمد والبزار والطبراني، وقال: ورجالهم ثقات، ط الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) صحيح الإمام البخاري مع فتح الباري، كتاب الرقاق، الباب (٢٠) ، ج ١١ ص ٣٠٣. وابن القيم، عدة الصابرين ص ١٠١. والمنبجي، تسلية أهل المصائب ص ١٩٣.

(٤) ابن أبي الدنيا، الصبر والثواب عليه، ص ٢٤. وابن القيم، عدة الصابرين، =

ويقول رضي الله عنه : الصبر ملاك الإيمان[1]. ويقول كذلك: لو أن الصبر والشكر بعيران لم أبال أيهما ركبت [2].

ويقول أيضاً : نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين[3]، و يعني بالعدلين : الصلاة والرحمة، وبالعلاوة : الهدى . والعلاوة : ما يُحمل فوق العدلين على البعير، وأشار به إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[4][5] .

٢- ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : بني الإسلام على أربع دعائم : اليقين، والصبر، والجهاد، والعدل[6] .

ويقول : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له[7] .

= ص ١٠١. والمنبجي، تسلية أهل المصائب، ص ١٩٣.

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤ ص ٥٩.

(٢) ابن أبي الدنيا، الصبر والثواب عليه، ص ٢٤. والماوردي، أدب الدنيا والدين ، ص ٢٧٦. وابن القيم ، عدة الصابرين ، ص ١٠٢.

(٣) الغزالي ، إحياء علوم الدين ،ج ٤ ص ٥٩. وأبو طالب المكي، قوت القلوب، ج ١ص ١٩٤.

(٤) سورة البقرة الآية ١٥٧.

(٥) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ٤ص ٥٩ . وانظر : المكي، قوت القلوب، ج١ ص ١٩٤. والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ج٢ ص ١٢٠.

(٦) المكي، قوت القلوب ، ج١ ص ١٩٤. والغزالي، إحياء علوم الدين ، ج٤ ص ٥٩ .

(٧) ابن أبي الدنيا، الصبر والثواب عليه، ص ٢٤. والغزالي، إحياء علوم الدين، =

ويقول : (الصبر مطية لا تكبو)[١] . ويقول أيضاً : (لو كان الصبر رجلاً كان أكمل الرجال)[٢] . ويقول أيضاً : (الصبر كفيل بالنجاح)[٣] .

ويقول كذلك محدداً أركان الصبر: الصبر على أربع شعب: على الشوق، والشفقة، والزهد، والترقب . فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات[٤].

٣- ويقول خالد بن الوليد رضي الله عنه : يا أهل الإسلام إن الصبر عز، وإن الفشل عجز، وإن النصر مع الصبر [٥].

٤- ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : الصبر نصف الإيمان[٦] .

= ج ٤ ص ٥٩. والمكي، قوت القلوب، ج١ ص ١٩٤. وابن القيم، عدة الصابرين ، ص ١٠١. والمنبجي ، تسلية أهل المصائب ص ١٩٣.

(١) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص ٢٧٦. وابن القيم ، عدة الصابرين ، ص ١٠١.

(٢) ابن أبي الدنيا ، الصبر والثواب عليه ، ص ١٠٩.

(٣) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ١/ص ١٥٤.

(٤) ابن أبي الدنيا ، الصبر والثواب عليه ، ص ٢٥. والمكي ، قوت القلوب ، ج ١ ص ٢٠٠.

(٥) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج١ص ٢٠٨، ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٦) المكي، قوت القلوب، ج١ص ١٩٤. وانظر : ابن القيم، عدة الصابرين، =

٥- ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنه أفضل العُدَّة الصبر على الشدة[١].

٦- ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه : ذروة الإيمان الصبر للحكم، والرضا بالقدر[٢].

٧- ويقول عمران بن حصين رضي الله عنه : ثلاثٌ يُدرك بهن العبد رغائب الدنيا والآخرة : الصبر عند البلاء، والرضا بالقضاء، والدعاء في الرخاء[٣] .

٨- وتقول أم الدرداء رضي الله عنها : إن الراضين بقضاء الله الذين ما قضى الله لهم رضوا به، لهم في الجنة منازل يغبطهم بها الشهداء يوم القيامة [٤] .

٩- ويقول الحسن البصري رحمه الله : الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده [٥].

= ص ١١٦.

(١) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٢٧٦.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤ ص ٥٩. والمكي، قوت القلوب، ج١ ص ١٩٥.

(٣) ابن أبي الدنيا، الصبر والثواب عليه، ص ٦٥.

(٤) المنبجي، تسلية أهل المصائب، ص ٢٠٩.

(٥) ابن أبي الدنيا، الصبر والثواب عليه، ص ٢٧، ٢٨. والمنبجي، تسلية أهل المصائب، ص ١٩٣. وانظر : العجلوني، كشف الخفاء، ج٢ ص ١٦٠، ط الثانية ١٣٥١هـ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

١٠- ويقول مجاهد رحمه الله : (الصبر مَعْقِلٌ)[١] .

١١- ويقول سفيان بن عيينة رحمه الله : لم يعط العباد أفضل من الصبر، به دخلوا الجنة[٢].

١٢- ويقول إبراهيم التيمي رحمه الله : ما من عبد وهب الله له صبراً على الأذى، وصبراً على البلاء، وصبراً على المصائب إلا وقد أوتي أفضل ما أوتيه أحد بعد الإيمان بالله[٣].

١٣- ويقول وهب بن منبه رحمه الله : ثلاث من كن فيه أصاب البر : سخاوة النفس، والصبر على الأذى، وطيب الكلام[٤].

١٤- وقيل لسفيان الثوري رحمه الله: ما أفضل الأعمال ؟ قال: الصبر عند الابتلاء[٥] .

١٥- ويقول قتادة رحمه الله : الصبر من الإيمان بمنزلة اليدين من الجسد...، ولو كان الصبر رجلاً لكان كريماً جميلاً [٦].

١٦- ويقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً

---

(١) ابن أبي الدنيا ، الصبر والثواب عليه ، ص ٦٠.

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠، ٥١.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨.

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٨، ٣٩.

(٥) المكي ، قوت القلوب ، ج١ ص ١٩٧.

(٦) ابن أبي الدنيا ، الصبر والثواب عليه ، ص ١١٢.

مما انتزعه منه[1]، أي أن الصبر عوض عن كل ما يفقده الإنسان من متاع الحياة الدنيا .

١٧- ويقول الماوردي : إن من حسن التوفيق وأمارات السعادة : الصبر على الملمات، والرفو [2] عند النوازل، وبه نزل الكتاب وجاءت السنة،... فنزل الكتاب بتأكيد الصبر فيما أمر الله به وندب إليه، وجعله من عزائم التقوى فيما افترضه وحث عليه[3].

١٨- ويقول أبو طالب المكي : ... ومن الصبر حبس النفس على التقوى، والتقوى اسم جامع لكل خير، فالصبر معنى داخل في كل بر، فإذا جمعهما العبد فهو من المحسنين، وما على المحسنين من سبيل، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[4][5].

ويقول : التقوى والصبر معنيان، أحدهما منوط بالآخر، لا يتم كل واحد منهما إلا بصاحبه، فمن كانت التقوى مقامه كان الصبر حاله، فصار الصبر أفضل الأحوال من حيث كانت التقوى

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠. والمنبجي ، تسلية أهل المصائب ، ص ١٩٣.
(٢) أي السكون والهدوء والطمأنينة ، من رَفَوْت الرجل إذا سَكَّنْتُه . انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (رفأ) .
(٣) أدب الدنيا والدين، ص ٢٧٦.
(٤) سورة يوسف، الآية ٩٠.
(٥) قوت القلوب، ج ١ ص ١٩٦.

أعلى المقامات، إذ الأتقى هو الأكرم عند الله تعالى، والأكرم على الله تعالى هو الأفضل[١].

ويقول : قد شَرَّف الله تعالى الصبر بأن أضافه إليه بعد الأمر به، فقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[٢]، وقال: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾[٣][٤].

ويقول أيضاً : اعلم أن الصبر سبب دخول الجنة وسبب النجاة من النار، لأنه جاء في الخبر أن الجنة حفت بالمكاره، وحفت النار بالشهوات، فيحتاج المؤمن إلى صبر على المكاره ليدخل الجنة، ويحتاج إلى صبر عن الشهوات لينجو من النار[٥] .

ويقول كذلك : الصبر مقام أولي العزم من الرسل أُمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقدوة بهم ، وباهى الله تعالى بهم عباده، فقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[٦]...، وجعل الله تعالى الصبر من العزائم في قوله: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ

---

(١) المرجع السابق ، ج ١ ص ١٩٧.
(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٧.
(٣) سورة المدثر ، الآية ٧.
(٤) المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق ، ج١ ص ٢٠٠.
(٦) سورة الأحقاف ، الآية ٣٥.

﴿عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[1][2].

١٩- ويقول ابن القيم في معرض بيانه كيف يكون الصبر نصف الإيمان : إن الإيمان مبني على ركنين : يقين ، وصبر . وهما الركنان المذكوران في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[3]، فباليقين يعلم المؤمن حقيقة الأمر والنهي والثواب والعقاب، وبالصبر يُنفذ ما أمر به ويكف نفسه عما نهي عنه، ولا يحصل له التصديق بالأمر والنهي أنه من عند الله وبالثواب والعقاب إلا باليقين . ولا يمكنه الدوام على فعل المأمور وكف النفس عن المحظور إلا بالصبر، فصار نصف الإيمان، والنصف الثاني : الشكر بفعل ما أُمر به وبترك ما نهي عنه[4].

ويقول أيضاً : إن الدين مبني على أصلين : الحق، والصبر . وهما المذكوران في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[5]، ولما كان المطلوب من العبد هو العمل بالحق في نفسه وتنفيذه في الناس، وكان هذا هو حقيقة الشكر، لم يمكنه ذلك إلا بالصبر عليه، فكان

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٦.

(٢) المرجع السابق .

(٣) سورة السجدة ، الآية ٢٤.

(٤) عدة الصابرين ، ص ١١٦، ١١٧.

(٥) سورة العصر ، الآية ٣.

الصبر نصف الإيمان[١] .

٢٠- ويقول المنبجي : ليعلم أهل المصائب أنه لولا محن الدنيا ومصائبها أصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء، وحفظاً لصحة عبوديته، واستفراغاً للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه [٢].

الفصل الرابع: ما يعين على الصبر

إن النفس البشرية قد يعتريها الفتور عن فعل الطاعات ، أو تضعف عن ترك المعاصي، وقد تجزع عند نزول البلاء، ولا سيما عند وجود معوقات الصبر من داخل النفس ومن خارجها .

إلا أن الله عز وجل ما أمر بأمر إلا أعان عليه ونصب أسباباً تمده وتعين عليه، كما أنه ما قَدَّر داءً إلا وقدَّر له دواء وضمن له الشفاء باستعماله . ولما كان الصبر مأموراً به جعل له سبحانه أسباباً تعين عليه وتوصل إليه إذا تذرع بها المسلم في وجه تلك المعوقات [٣].

وهذه الأسباب منها ما يعين على الصبر على الطاعة، ومنها

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٨، ١١٩.

(٢) تسلية أهل المصائب، ص ٣٤.

(٣) انظر : ابن القيم، عدة الصابرين، ص ٥٧ .

ما يعين على الصبر عن المعصية، ومنها ما يعين على الصبر على المحن والشدائد والمصائب .

وسأتناول - إن شاء الله - هذه الأسباب في ثلاثة مباحث، وذلك على النحو التالي :

المبحث الأول : ما يعين على الصبر على الطاعة :

الأسباب التي تعين المسلم على الصبر على طاعة الله أسباب عديدة،منها ما يلي :

أولاً : تقوية باعث الدين : ويكون ذلك بالأمور التالية :

١- الإيمان بالله : فصبر العبد على فعل الطاعة يكون عادة بحسب قوة إيمانه بالله سبحانه، فإذا قوي سراج الإيمان في القلب، وأضاءت جهاته كلها به، وأشرق نوره في أرجائه، سرى ذلك النور إلى الأعضاء وانبعث إليها، فأسرعت الإجابة لداعي الإيمان، وانقادت النفس إلى الله طائعة ذليلة غير متثاقلة ولا كارهة [١].

٢- محبة الله : فإن هذه المحبة من أقوى أسباب الصبر على الطاعة، فإن المحب لمن يحب مطيع، وكلما قوي سلطان المحبة في القلب كان اقتضاؤه للطاعة أقوى . قال تعالى: ﴿ **قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ** ﴾[٢]. إلا أن المحبة المجردة لا توجب

---

(١) انظر : ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص ٢٧٥، ط الثانية ١٣٩٤هـ، دار المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣١.

هذا الأثر ما لم تقترن بإجلال الله تعالى وتعظيمه، فإذا قارنها ذلك أوجبت هذه الطاعة [١] .

٣- الحياء من الله : فمن استحيا من الله حق الحياء منعه ذلك من التقصير في طاعة الله، ودفعه إلى تحمل مشاق العبادة والصبر عليها. يقول الجنيد - رحمه الله - : الحياء حالة تتولد من رؤية آلآء الله ورؤية التقصير في حقه تعالى [٢].

٤- الخوف من الله : فهو سراج في قلب المؤمن، يحمله على المسارعة إلى فعل الطاعات والاستزادة منها، وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله عز وجل إذا خفته هربت إليه [٣]. يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ۝ ﴾ [٤].

٥- الرجاء : فهو حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويطيب لها السير إلى الله ويحثها عليه ويبعثها على ملازمته [٥].

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٧١.
(٢) انظر: ابن القيم ، مدارج السالكين ،ج٢ ص ١٩٨.
(٣) انظر : المرجع السابق ، ج١ ص ٣٨٧.
(٤) سورة المؤمنون ، الآيات ٥٧-٦١.
(٥) انظر : المرجع السابق ، ج٢ ص ٢٧.

ثانياً : معرفة حسن عاقبة الطاعة وأجرها العظيم عند الله :

آثار طاعة الله وعواقبها الحسنة كثيرة ، فخير الدنيا والآخرة كله في طاعة الله . ومن ذلك : الأنس بالله ، والطمأنينة والسكون إليه، وإقبال الله على العبد المطيع ، ومحبته له سبحانه .

ومن عواقبها الحسنة أيضاً : النور في القلب، والضياء في الوجه، والقوة في البدن، والسعة في الرزق، ومحبة الخلق .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**))[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : إن للحسنة نوراً في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق [٢] .

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، الباب (٣٨) ، الحديث رقم ٦٥٢٠، ج١١ ص ٣٤٠، ٣٤١.

(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، ج١٠ ص ٦٣٠.

وقد رتب الله سبحانه الأجر العظيم والثواب الجزيل على طاعته والعمل بمرضاته، وأخبر بذلك في آيات كثيرة في كتابه الكريم، منها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨ ﴾[1].

فإذا علمت النفس ذلك كله كرهت الراحة والبطالة في دار الفناء، رغبة منها في الحصول على الراحة الأبدية في دار البقاء. ولاسيما وأن التريث والمصابرة خصلة تتسق مع سنن الكون القائمة ونظمه الدائمة، فالزرع لا ينبت ساعة البذر، ولا ينضج ساعة النبت، بل لابد من المكث شهوراً حتى يُجتنى الحصاد المنشود. والجنين يظل في بطن أمه شهوراً حتى يستوي خلقه. وقد أعلمنا الله عز وجل أنه خلق العالم في ستة أيام، وما كان ليعجز أن يقيم دعائمه في طرفة عين أو أقل[2].

ثالثاً : قصر الأمل :

فمن قصر أمله ورأى سرعة انقضاء أجله، كان ذلك أدعى لأن يصبر على فعل الطاعات، فلا يصرف أوقاته إلا فيما ينفعه في آخرته. يقول الله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

---

(١) سورة الكهف، الآيتان ١٠٧، ١٠٨.

(٢) محمد الغزالي، خلق المسلم، ص ١٣٥، ط الثانية ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، دار القلم، دمشق.

لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾[1].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**))[2] . ويقول أيضاً : ((**ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال، فالدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة، والساعة أدهى وأمر**))[3].

ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : أخوف ما أخاف عليكم اثنان : طول الأمل، واتباع الهوى . ألا وإن

---

(١) سورة الحديد ، الآية ١٦.

(٢) أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد، باب (التحضيض على طاعة الله)، الحديث رقم ٢، ص ٢ ، بتحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، ط دار الكتب العلمية، بيروت . كما أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب (الرقاق)، الحديث رقم ٧٨٤٦، ج٤ ص ٣٤١، وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب (الرقاق)، الحديث رقم ٧٩٠٦، ج٤ ص ٣٥٦، ٣٥٧، وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين . وروى الترمذي نحوه في سننه في كتاب (الزهد)، الباب (٣)، الحديث رقم ٢٣١١، ج٤ ص ٥٥٢، وقال: حديث حسن غريب. وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ١٦٦٦، ج٤ ص ١٦٣، ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ، مكتبة المعارف، الرياض .

طول الأمل يُنسي الآخرة، واتباع الهوى يصد عن الحق[١] .

وعن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال : (ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ وأكل الجشب[٢]، إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل)[٣].

ويقول أبو حامد الغزالي رحمه الله : اعلم أنه إذا طال الأمل هاج منه أشياء : ترك الطاعة، والكسل فيها، وترك التوبة وتسويفها، والحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا، وقسوة القلب ونسيان الآخرة[٤].

رابعاً: الدعاء :

وذلك بأن يدعو المسلم ربه ويلح عليه بأن يهديه ويعينه على فعل الطاعة، فإنه سبحانه هو الهادي والمعين .

وقد ورد في السنة النبوية الكثير من الأدعية التي يُشرع للمسلم أن يدعو الله بها في هذا الشأن .منها : ما ورد عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني

---

(١) أبو علي زين الدين المعيري ، سراج القلوب وعلاج الذنوب، ج١ ص ١٧٢، ١٧٣، ط دار صادر، بيروت .

(٢) وهو الغليظ الخشن من الطعام ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب، مادة (جشب) .

(٣) أبو علي المعيري، سراج القلوب، ج١ ص ١٧٢

(٤) المرجع السابق ،ج١ ص ١٧٣.

على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك [1] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل : **اللهم اهدني وسددني** [2] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : ((**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**)) [3] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**)) [4] .

المبحث الثاني : ما يعين على الصبر عن المعصية :

الأسباب التي تعين المسلم على الصبر عن معصية الله أسباب

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، الحديث رقم ٦٩١، ص ٢٣٣. ورواه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، الحديث رقم ١٥٢٢، ج٢ ص ٨٦. كما رواه النسائي في سننه في كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، ج٣ ص ٥٣. وروى الإمام أحمد نحوه في المسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، الحديث رقم ٧٩٨٢، ج١٣ ص ٣٦٠. وقال محققو المسند: إسناده صحيح .

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء، باب في الأدعية، ج ١٧ ص ٤٣ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه في الموضع السابق، ج١٧ ص ٤٠، ٤١ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، ج١٦ ص ٢٠٣، ٢٠٤ .

عديدة، لعل من أهمها ما يلي :

أولاً : **تقوية باعث الدين** : ويكون ذلك بأمور عدة [(١)] :

أحدها : الإيمان بالله تعالى، فصبر العبد عن المعاصي إنما هو بحسب قوة إيمانه، فكلما كان إيمانه أقوى كان صبره أتم، وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر، فإن من باشر قلبه الإيمان بقيام الله عليه، ورؤيته له، وتحريمه لما حرم عليه، وبغضه له، ومقته لفاعله، وباشر قلبه الإيمان بالثواب والعقاب والجنة والنار، امتنع من أن لا يعمل بموجب هذا العلم[(٢)].

ولذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**))[(٣)] .

الثاني : إجلال الله تبارك وتعالى أن يعصى وهو يرى ويسمع، ومن قام بقلبه مشهد إجلاله لم يطاوعه قلبه لذلك البتة .

---

(١) راجع في هذا كلاً من : طريق الهجرتين، لابن القيم، ص ٢٧٠ وما بعدها. وعدة الصابرين، لابن القيم، ص ٦٠ . وإحياء علوم الدين ـ للغزالي، ج٤ ص٧٣.

(٢) ابن القيم ، طريق الهجرتين ، ص ٢٧٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الأشربة، الباب (١)، الحديث رقم ٥٥٧٨، ج١٠ ص٣٠. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ج٢ ص ٤١، ٤٢.

الثالث : مشهد محبته سبحانه، فيترك العبد معصيته محبة له، فإن المحب لمن يحب مطيع، وأفضل الترك ترك المحبين، كما أن أفضل الطاعة طاعة المحبين . ومقتضى محبة العبد لله أن يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله . ولذا يقول يحيى بن معاذ : ليس بصادق من ادعى محبة الله عز وجل و لم يحفظ حدوده [١].

الرابع : مشهد النعمة والإحسان، فإن الكريم لا يُقابِلُ بالإساءة من أحسن إليه، وإنما يفعل ذلك لئام الناس، فمقتضى إحسان الله وإنعامه على عبده اجتناب هذا العبد معصية ربه، حياءً منه سبحانه. فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : ((**استحيوا من الله حق الحياء، قالوا يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال :ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى**)) [٢].

يقول ابن القيم : وليمنع المؤمن مشهد إحسان الله تعالى

---

(١) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ج ٢ ص ٣٩٧، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ط الثامنة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت .

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة، الباب (٢٤)، الحديث رقم ٢٤٦٣، ج٤ ص ٦٣٧، وقال : هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه.كما رواه الحاكم في المستدرك في كتاب الرقاق، الحديث رقم ٧٩١٥، ج٤ ص ٣٥٩، وقال : حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه .

ونعمته عن معصيته حياءً منه أن يكون خير الله وإنعامه نازلاً إليه، ومخالفاته ومعاصيه وقباحه صاعدة إلى ربه ،فملك ينزل بهذا، وملك يعرج بذاك، فأقبح بها من مقابلة [١] .

الخامس: مشهد الغضب والانتقام، فإن الله سبحانه إذا تمادى العبد في معصيته غضب، وإذا غضب لم يقم لغضبه شيء، فضلاً عن هذا العبد الضعيف، فحري بالمسلم أن يحذر من غضب الله ويخاف نقمته وعذابه . وهذا الخوف من شأنه قمع الشهوات وتكدير اللذات المحرمة، فتتأدب الجوارح وتصير المعاصي المحبوبة عندها مكروهة .

السادس : مشهد الفوات، وهو ما يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة، وما يحدث له بها من كل اسم مذموم عقلاً وشرعاً وعرفاً، ويزول عنه من الأسماء الممدوحة شرعاً وعقلاً وعرفاً . ويكفي في هذا المشهد مشهد فوات الإيمان الذي أدنى مثقال ذرة منه خير من الدنيا وما فيها أضعافاً مضاعفة، فكيف أن يبيعه بشهوة تذهب لذاتها وتبقى تبعاتها، تذهب الشهوة وتبقى الشقوة .

ثانياً: إضعاف باعث الشهوة : ويكون ذلك بثلاثة أمور[٢]:

الأول : أن ينظر العبد إلى مادة قوة الشهوة فيحدها من

---

(١) عدة الصابرين ، ص ٦٠.

(٢) راجع في هذا كلاً من: إحياء علوم الدين، للغزالي ،ج٤ ص ٧٢ ، ٧٣ . وعدة الصابرين، لابن القيم ، ص ٥٧، ٥٨ . ومختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ص ٣٠٢.

الأغذية المحركة للشهوة، إما بنوعها أو بكميتها وكثرتها ليحسم هذه المادة بتقليلها، فإن لم تنحسم فليبادر إلى الصوم، فإنه يضعف مجاري الشهوة ويكسر حدتها، ولا سيما إذا كان أكله وقت الفطر معتدلاً .

والثاني : أن يتجنب محرك الطلب وهو النظر، فيقصر لجام طرفه ما أمكنه، فإن داعي الإرادة والشهوة إنما يهيج بالنظر، والنظر يحرك القلب بالشهوة . يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة**))[1]. وهو سهم يسدده إبليس نحو العبد ولا ترس يمنعه منه إلا غض البصر أو الهرب من صوب رميه، فإنه إنما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فإذا انقلب العبد عن صوب الصور لم يصبه سهمه .

الثالث : تسلية النفس بالمباح المعوض عن المحرم من جنسه، فإن كل ما يشتهيه الطبع ففيما أباحه الله من جنسه غنية عنه . وهذا هو الدواء النافع في حق أكثر الناس .

ثالثاً : اللجوء إلى الله تعالى :

وذلك بأن يلح العبد على الله في دعائه بأن يحفظه من الوقوع في المعاصي والسيئات، وأن يستعيذ بالله عز وجل من الشيطان

(١) رواه الحاكم في المستدرك في كتاب الرقاق، الحديث رقم ٧٨٧٥، ج٤ ص ٣٤٩، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

الرجيم عندما يوسوس لـه، مزيناً ارتكاب المعاصي، ودافعاً إلى طريق الشرور والمفاسد . كما قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[1].

رابعا : الاستعانة بالصلاة :

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[2]، فأمر سبحانه بالاستعانة بالصلاة، لأنها عماد الدين ونور المؤمنين، والصلة بين العبد وربه، فإذا كانت صلاة العبد كاملة؛ مجتمعاً فيها ما يلزم فيها وما يسن، وحصل فيها حضور القلب الذي هو لبها، لا جرم أنها من أكبر المعونة على كثير من الأمور، ومنها اجتناب المعاصي، لأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة يوجب للعبد في قلبه وصفاً وداعياً يدعوه إلى امتثال أوامر ربه واجتناب نواهيه [3]. يقول تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾[4].

خامساً : التفكر في مفاسد المعصية وسوء عاقبتها :

تفكـر العبـد في المفاسـد المترتـبة عـلى اقـتراف المعصـية وسوء

(١) سورة الأعراف ، الآية ٢٠٠.

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٥٣.

(٣) انظر : ابن سعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص ٧٥.

(٤) سورة العنكبوت ، الآية ٤٥.

عواقبها يعينه بلا شك على الصبر عنها، فإنه لو لم يكن جنة ولا نار لكان في هذه المفاسد وسوء العواقب ما ينهى عن إجابة الداعي إلى المعصية .

ومن ذلك : زوال النعم ونقصان الرزق،فما أذنب عبد ذنباً إلا زالت عنه نعمة من الله بحسب ذلك الذنب، ولا تزال الذنوب تزيل عنه النعم نعمة بعد نعمة حتى تُسلب منه النعم كلها. بقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**))[1] .

ويقول بعض السلف : (أذنبت ذنباً فحُرمت قيام الليل سنة)[2].

ومن ذلك : إعراض الله وملائكته وعباده عن العاصي، وسواد وجهه، وظلمة قلبه، وشدة قلقه، وتمزق شمله، ومرضه الذي إذا استحكم به فهو الموت ولابد .

ومن ذلك أيضاً : زوال الطمأنينة بالله والسكون إليه، وضياع أعز الأشياء عليه وهو الوقت الذي لا عوض عنه . وبالجملة فآثار المعصية القبيحة أكثر من أن يحيط بها العبد علماً، فشرور الدنيا

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند من حديث ثوبان رضي الله عنه، الحديث رقم ٢٢٤١٣، ج٣٧ ص ٩٥. كما رواه ابن ماجه في سننه في باب القدر، الحديث رقم ٩٠، ص ٣٢، وقد ضعفه الألباني في تحقيقه لسنن ابن ماجه .

(٢) ابن القيم، طريق الهجرتين ص ٢٧١.

والآخرة في اقتراف الذنوب والمعاصي[1] .

المبحث الثالث : ما يعين على الصبر على المحن والمصائب .

الأسباب التي تعين المسلم على الصبر على محن الدنيا ومصائبها أسباب كثيرة ،لعل أهمها ما يلي :

أولاً : الإيمان بقضاء الله وقدره :

وذلك بأن يعلم العبد المصاب علم اليقين بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه[2]، قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[3]. يقول ابن سعدي في تفسيره لهاتين الآيتين : هذا شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق من خير وشر، فكلها قد كتبت في اللوح المحفوظ صغيرها وكبيرها . وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنه أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير، وأخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم ، ويبنوا عليها ما أصابهم من الخير والشر، فلا يأسوا ويحزنوا على ما فاتهم مما طمحت له أنفسهم وتشوفوا

(١) انظر: المرجع السابق ص ٢٧٢-٢٧٤ .

(٢) انظر ابن القيم ، زاد المعاد ، ج ٤ ص ١٨٩، ١٩٠.

(٣) سورة الحديد ، الآيتان ٢٢، ٢٣.

إليه، لعلمهم أنه مكتوب في اللوح المحفوظ لابد من نفوذه ووقوعه فلا سبيل إلى دفعه، ولا يفرحوا بما آتاهم الله فرح بطر وأشر، لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم وقوتهم، وإنما أدركوه بفضل الله ومنّة، فيشتغلوا بشكر من أولى النعم ودفع النقم[1] .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**))[2].

ثانياً : الاستعانة بالله :

ومما يعين المبتلى على الصبر أن يستعين بالله تعالى ويلجأ إلى حماه فيشعر بمعيته سبحانه، وأنه في حمايته ورعايته. ومن كان في حمى ربه فلن يضام . وفي هذا يقول تعالى في خطاب المؤمنين : ﴿ **وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾[3]، ويقول سبحانه في خطاب رسوله: ﴿ **وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ** ﴾[4]. ومن كان بمعية الله مصحوباً، وبعين

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ، ص ٨٤٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب (الإيمان للقدر والإذعان له)، ج١٦ ص ٢١٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٤) سورة الطور، الآية ٤٨.

الله ملحوظاً، فهو أهل لأن يتحمل المتاعب ويصبر على المكاره .

وإذا العناية لا حظتك عيونـها نـم فالمخاوف كلهن أمــان
واصطد بها العنقاء فهي حبائـل واقتد بها الجوزاء فهي عنـان

ولما هدد فرعون - مستخدماً سيف القهر والجبروت - موسى عليه السلام وقومه أن يُقتّل أبناءهم ويستحيي نساءهم، قال موسى لقومه: ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾[1].

ولعل حاجة الصابرين إلى الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه هي بعض أسرار اقتران الصبر بالتوكل على الله في آيات كثيرة مر بنا بعضها، مثل قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[2]، وقوله على ألسنة الرسل: ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[3][4].

ثالثاً : فقه مضمون الاسترجاع :

الاسترجاع من أبلغ علاج المصائب وأنفعه للعبد المصاب في عاجله وآجله، فإنه يتضمن أصلين عظيمين إذا استشعرهما العبد تسلى عن مصيبته : أحدهما :

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٢٨.

(٢) سورة النحل ، الآية ٤٢ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية ١٢.

(٤) د. يوسف القرضاوي ، الصبر في القرآن ، ص ٩٦بتصرف يسير .

أ- أن نفسه وأهله وماله وولده ملك لله عز وجل حقيقة، وقد جعله الله عنده عارية، فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ عاريته من المستعير .

ب- أن نفسه وأهله وماله وولده محفوفة بعدمين، عدمٌ قبلها، وعدمٌ بعدها . وملكه لها إنما هو متعةٌ معارة في زمن يسير .

ج- أنه ليس هو الذي أوجدها من عدم، حتى يكون ملكه حقيقة، ولا هو الذي يحفظها من الآفات بعد وجودها، ولا هو الذي يُبقي عليها وجودها، فليس له فيها تأثير ولا ملك حقيقي .

د- أن تصرفه فيها تصرف العبد المأمور المنهي، لا تصرف المالك الحقيقي . ولذا لا يباح له من التصرفات فيها إلا ما وافق أمر هذا المالك [١].

ويؤيد ما تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**إن لله ما أخذ وله ما أعطى**))[٢]، وقول لبيد :

وما المال والأهلون إلا ودائع ولابد يوماً أَن تُردَّ الودائعُ

الثاني : أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولابد أن خلف الدنيا وراء ظهره، ويأتي ربه يوم القيامة فرداً كما خلقه أول

(١) انظر : ابن القيم، زاد المعاد ،ج٤ ص ١٨٩.

(٢) تقدم معنا هذا الحديث وسبق تخريجه .

مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن يأتيه بالحسنات والسيئات .

فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوَّله فيه، ونهايته وحاله فيه، فكيف يفرح بولد أو مال أو غير ذلك من متاع الدنيا، أم كيف يأسى على مفقود .ففكرة العبد في مبدئه ومعاده من أعظم علاج المصائب [(١)].

رابعاً : اليقين بحسن الجزاء عند الله :

مر معنا فيما سبق إشارة القرآن الكريم إلى أن الصابرين ينتظرهم أحسن الجزاء من الله تعالى، وذلك حين يرجعون إليه، ويقفون بين يديه، فيعوضهم عن صبرهم أكرم العوض، ويمنحهم أعظم الأجر وأجلَّ المثوبة . ولا نجد في القرآن الكريم شيئاً ضخم جزاؤه وعظم أجره مثل الصبر، فهو يتحدث عن هذا الأجر بأسلوب المدح والتفخيم، فيقول: ﴿ **نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩** ﴾[(٢)]، ويبن أن الصابرين إنما يجزون أجرهم بأحسن ما عملوا فضلاً من الله ونعمة، حيث يقول تعالى: ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٦** ﴾[(٣)]، كما يصرح بأن أجر الصابرين غير معدود بعد،

(١) انظر : المرجع السابق، والمنبجي، تسلية أهل المصائب، ص ١٩، ٢٠.
(٢) سورة العنكبوت، الآيتان ٥٨، ٥٩ .
(٣) سورة النحل ، الآية ٩٦.

ولا محدود بحد، ولا محسوب بمقدار، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1]، فاليقين بحسن الجزاء وعظم الأجر عند الله يخفف من مرارة المصيبة على النفس، ويُهوّن من شدة وقعها على القلب، ويكون باعثاً للمصاب على الصبر لنيل هذا الأجر الكبير [2].

يقول المنبجي : ومن تسلية أهل المصائب : أن ينظر المصاب في كتاب الله وسنة رسول الله، فيجد أن الله تعالى أعطى لمن صبر ورضي ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة[3].

ويقول ابن القيم : على حسب ملاحظة حسن الجزاء والوثوق به ومطالعته يخف حمل البلاء، لشهود العوض . وهذا كما يخف على كل متحمل مشقة عظيمة حملها، لما يلاحظه من لذة عاقبتها وظفره بها . ولولا ذلك لتعطلت مصالح الدنيا والآخرة، وما أقدم أحد على تحمل مشقة عاجلة إلا لثمرة مؤجلة، فالنفس موكلة بحسب العاجل . وإنما خاصة العقل : تلمح العواقب، ومطالعة الغايات[4] .

ويقول أيضاً : ومن علاج حر المصيبة وحزنها أن يعلم أن ما

---

(١) سورة الزمر، الآية ١٠.

(٢) انظر : د. يوسف القرضاوي ، الصبر في القرآن الكريم ،ص ٨٩، ٩٠.

(٣) تسلية أهل المصائب ، ص ٢٠. وانظر : ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٤ ص ١٩٠.

(٤) مدارج السالكين ج٢ ص ١٢٧.

يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل لـه بـبقاء مـا أصـيب بـه لو بقي عليه،ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذي يبـنى لــه في الجـنة على حمده لربه واسترجاعه، فلينظر :أي المصيبة أعظم ؛مصيبة العاجلة، أم مصيبة فوات بيت الحمد في الجنة[١].

خامساً : اليقين بالفرج :

اليقين بأن فرج الله آت لا ريب فيه، وأن بعد الضيق سعة، وأن بعد العسر يسراً، وأن ما وعد الله به المؤمنين من النصر، وما وعد به المبتلين من العوض والإخلاف لابد أن يتحقق، كل ذلك جدير بأن يطرد شبح اليأس من القلب، ويبدد ظلمة القلق من النفس، ويضيء الصدر بالأمل في الظفر والثقة بالغد . وفي هذا يقول تعالى: ﴿ **فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝** ﴾[٢]، فلم يجعل سبحانه اليسر بعد العسر أو عقبه بل معه، وذلك لينبه على أمرين :

الأول : قرب تحقق اليسر بعد العسر مباشرة ، حتى كأنه معه أو متصل به .

الثاني : أن مع العسر بالفعل يسراً لا ريب فيه، قد يكون ظاهراً ملموساً، وقد يكون خفياً مكنوناً، وذلك ما يسمى بـاللطف،

---

(١) زاد المعاد ، ج٤ ص ١٩٢.

(٢) سورة الإنشراح ، الآيتان ٥، ٦.

ففي كل قدر لطف، وفي كل بلاء نعمة [1]. وفيه يقول ابن عطاء الله السكندري : من ظن انفكاك لطفه عن قدره، فذلك لقصور نظره ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[2][3] .

وأكد النبي صلى الله عليه وسلم على فرج الله ونصره فقال: **((اعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً))**[4] .

وفي اليقين بالفرج يقول ابن القيم :... انتظار روح الفرج، يعني : راحته ونسيمه ولذته، فإن انتظاره ومطالبته وترقبه يخفف حمل المشقة، ولا سيما عند قوة الرجاء أو القطع بالفرج، فإنه يجد في حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته ما هو من خفي الألطاف وما هو فرج معجل [5] .

ورد أن أبا عبيدة حُصر فكتب إليه عمر يقول : مهما ينزل بامرئ من شدة يجعل الله بعدها فرجاً، وإنه لن يغلب عسر يسرين[6] .

---

(١) انظر : د. يوسف القرضاوي ، الصبر في القرآن ، ص ٩١، ٩٢ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ١٠٠.

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٢، ٩٣.

(٤) تقدم معنا هذا الحديث وتخريجه في ص ١٨٩ من هذا البحث .

(٥) مدارج السالكين، ج٢ ص ١٢٧.

(٦) ابن رجب، جامع العلوم والحكم ،ج ١ ص ٤٩٢، ٤٩٣.

سادساً : المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا :

من أهم ما يعين المسلم على الصبر على النوائب والشدائد أن يتصور طبيعة الحياة الدنيا التي يعيشها، ويعرفها على حقيقتها، فليست جنة نعيم، ولا دار خلود، وإنما دار ابتلاء وتكليف . ومن عرف الحياة على هذا النحو لم يفاجأ بكوارثها، فالشيء من معدنه لا يستغرب .

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن حياة الإنسان محفوفة بالمتاعب والمشاق، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ** ﴾[1]، كما أشار إلى طبيعة الحياة الدنيا ودوام تغيرها وعدم ثباتها على حال، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ** ﴾[2][3].

وما أجمل قول الشاعر في وصف الحياة الدنيا :

طُبعت على كدر وأنت تريدها صفواً من الآلام والأكدار

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلبٌ في الماء جذوة نار

يقول ابن القيم في بيان علاج حر المصيبة وحزنها : ومن علاجه أن يُطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، وليعلم أنه

---

(١) سورة البلد، الآية ٣.

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٤٠ .

(٣) انظر: د. يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن، ص ٨٥ .

في كل واد بنو سعد، ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة ؟، ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة ؟، وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه، وأن شرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن سرت يوماً ساءت دهراً، وإن متَّعت قليلاً منعت طويلاً، وما ملأت داراً خيرة إلا ملأتها عبرة، ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور . قال ابن مسعود رضي الله عنه : (لكل فرحة ترحة ، وما ملئ بيت فرحاً إلا ملئ ترحاً)، وقال ابن سيرين : (ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء)[1] .

ويقول الماوردي : ومن تسهيل المصائب أن يعلم العبد أن النعم زائرة، وأنها لا محالة زائلة، وأن السرور بها إذا أقبلت مشوبٌ بالحذر من فراقها إذا أدبرت، وأنها لا تُفرح بإقبالها فرحاً حتى تُعقب بفراقها ترحاً، فعلى قدر السرور يكون الحزن . وقد قيل في منثور الحكم : المفروح به هو المحزون عليه، وقيل : من بلغ غاية ما يحب فليتوقع غاية ما يكره، وقال بعض الحكماء : من علم أن كل نائبة إلى انقضاء حسن عزاؤه عند نزول البلاء[2] .

---

(١) زاد المعاد، ج ٤ ص ١٩٠.

(٢) أدب الدنيا والدين، ص ٢٨٣.

ويقول أبو الفرج ابن الجوزي : ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تعتور فيها الأمراض والأكدار، ولم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار[١].

سابعاً : رؤية نعم الله :

ومما يهون أمر المصيبة على المبتلى أن يعد نعم الله وأياديه عنده، فإذا عجز عن عدها وأيس من حصرها، هان عليه ما هو فيه من البلاء، ورآه - بالنسبة إلى أيادي الله ونعمه - كقطرة من بحر[٢] .

يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾[٣].

وهذا عروة بن الزبير رحمه الله عندما ذهب إلى دمشق ومعه أكبر أبنائه، مات هذا الابن، ثم بعد ذلك بفترة يسيرة أصابت الآكلة إحدى قدميه فبُترت . فلما قدم إلى أهله في المدينة ورأوا حاله، قال لهم : لا يهولنكم ما ترون، فلقد وهبني الله عز وجل أربعة من البنين، ثم أخذ منهم واحداً وأبقى لي ثلاثة فله الحمد، وأعطاني أربعة من الأطراف ثم أخذ منها واحداً وأبقى لي ثلاثة فله الحمد، وأيم الله لئن أخذ مني قليلاً فلقد أبقى لي كثيراً، ولئن ابتلاني مرة فلطالما عافاني مرات[٤].

---

(١) المنبجي ، تسلية أهل المصائب ، ص ٣١.

(٢) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج٢ ص ١٢٨.

(٣) سورة النحل ، الآية ١٨.

(٤) د. عبد الرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعين، الكتاب الأول، ص =

فمما يهون على المبتلى ما نزل به من بلاء تصوره إمكانية نزول ما هو أعظم منه، فإن كل مصيبة يوجد ما هو أكبر منها، وقد قيل :(بعض الشر أهون من بعض) .

يقول الماوردي : ومن تسهيل المصائب أن يعلم المصاب أن فيما وُقي من الرزايا وكُفي من الحوادث ما هو أعظم من رزيته وأشد من حادثته، ليعلم أنه ممنوح بحسن الدفاع...، وقد قيل للشعبي في نائبة : كيف أصبحت ؟، قال : بين نعمتين : خير منشور، وشر مستور[1] .

فالمؤمن المصاب ينظر إلى مصيبته بعين بصيرته فيحمد الله تعالى على أمرين :

أولهما : دفع ما كان يمكن أن يحدث من بلاء أكبر .

وثانيهما : بقاء ما كان يمكن أن يزول من نعمة غامرة وفضل جزيل .

فهو ينظر إلى النعمة الموجودة قبل أن ينظر إلى النعمة المفقودة، وينظر إلى البلاء المتوقع بجانب نظره إلى البلاء الواقع، ولا ريب أن هذا يحدث الارتياح والرضا في نفس المبتلى[2].

= ٧٩، ٨٠. ط دار الأصفهاني للطباعة ، جدة .

(١) أدب الدنيا والدين ، ص ٢٨٢.

(٢) د.يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ص ١٩٧ بتصرف يسير، ط الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت .

ثامناً : علم المصاب بأن حظه من المصيبة بحسب موقفه منها :

يقول ابن القيم : ومن علاج حر المصيبة وحزنها أن يعلم المصاب أن حظه من المصيبة ما تُحدثه له، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط ،فحظه منها ما أحدثته له، فإن أحدثت له سخطاً وكفراً كتب في ديوان الهالكين، وإن أحدثت له جزعاً وتفريطاً في ترك واجب أو فعل محرم كتب في ديوان المفرطين، وإن أحدثت له شكاية وعدم صبر كتب في ديوان المغبونين، وإن أحدثت له اعتراضاً على الله وقدحاً في حكمته فقد قرع باب الزندقة أو ولجه، وإن أحدثت له صبراً وثباتاً لله كتب في ديوان الصابرين، وإن أحدثت له الرضى عن الله كتب في ديوان الراضين، وإن أحدثت له الحمد والشكر كتب في ديوان الشاكرين، وكان تحت لواء الحمد مع الحمَّادين، وإن أحدثت له محبة واشتياقاً إلى لقاء ربه كتب في ديوان المحبين المخلصين[1] .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((**إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**))[2] .

تاسعاً: الاقتداء بأهل الصبر والعزائم :

ومما يعين على الصبر : التأمل في سير الصابرين وما لا قوه من

(١) زاد المعاد، ج ٤ ص ١٩٢، ١٩٣، بتصرف يسير .

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث .

صنوف البلاء وألوان الشدائد، وبخاصة أصحاب الدعوات وحملة الرسالات من أنبياء الله ورسله المصطفين الأخيار الذين جعل الله من حياتهم وجهادهم دروساً بليغة لمن بعدهم، ليتخذوا منها أسوة، ويتعزوا بها عما يصيبهم من متاعب الحياة وأذى الناس[1]، فآدم يعاني المحن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح بكى ثلاثمائة عام، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره، وموسى يقاسي فرعون ويلقى من قومه المحن، وعيسى ابن مريم لا مأوى له إلا البراري في العيش الضنك، ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين يصابر الفقر، وقتل عمه حمزة وهو من أحب أقاربه إليه، ونفور قومه عنه، وغير هؤلاء من الأنبياء والأولياء مما يطول ذكره[2].

يقول الماوردي : ومن تسهيل المصائب أن يتأسى المصاب بذوي الغِيرَ، ويتسلى بأولي العِبَر، ويعلم أنهم الأكثرون عدداً، والأسرعون مدداً، فيستجدَّ من سَلوة الأسى وحُسن العَزَا ما يخفف شَجْوَه ويُقِلُّ هَلَعه[3] .

الخاتمة :

وفي آخر المطاف خلص البحث إلى نتائج علمية عديدة،

(1) د. يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن، ص ٩٧.

(2) المنبجي، تسلية أهل المصائب، ص ٣١.

(3) أدب الدنيا والدين، ص ٢٨٣.

أبرزها ما يلي :

أولاً : أن الصبر في اللغة يستخدم بمعان عدة، منها : الحبس والمنع، والشدة والقوة، والجمع والضم، والثبات .

ثانياً: أن الصبر في الاصطلاح لفظ عام، يختلف تعريفه باختلاف الموطن الذي يُحتاج إليه فيه، ولذا عرف بتعريفات كثيرة، لعل أشملها أنه : الثبات على أحكام الكتاب والسنة .

ثالثاً : أن الصبر في الجملة واجب بإجماع الأمة . وأما حكمه التفصيلي فيختلف باختلاف نوع المصبور عنه أو المصبور عليه، فلكل نوع حكم يخصه من الأحكام التكليفية الخمسة .

رابعاً: أن العلماء قسموا الصبر إلى أقسام عدة باعتبارات مختلفة، وأن هذه الأقسام تندرج عموماً تحت ثلاثة أقسام رئيسة هي: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، والصبر على المحن والمصائب .

خامساً : أنه لعظم شأن الصبر على الطاعة ورد الأمر به على كل من : الصلاة، والجهاد، والقيام بأمر الدعوة إلى الله، والثبات على الدين والعض عليه بالنواجذ، وعلى غير ذلك من أنواع الطاعات والعبادات .

سادساً : أن العبد يحتاج إلى الصبر على الطاعة في حالات ثلاث هي : قبل الشروع في الطاعة، وحال القيام بها، وبعد الفراغ منها .

سابعاً: أنه على قدر الإيمان واليقين يكون الابتلاء، وأن الله سبحانه وتعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم .

ثامناً: أن أنبياء الله ورسله قد سطروا أروع الأمثلة في الصبر على البلاء .

تاسعاً : أن للصبر آداباً ظاهرة، وآداباً خفية .

وتتمثل الآداب الظاهرة في : الصبر عند حلول البلاء بالعبد، والاسترجاع، وسكون اللسان، وسكون الجوارح، وعدم إظهار أثر المصيبة، واجتناب إقامة المآتم، واشتغال المصاب بما هو أصلح له، والبقاء في البلدة التي يصيبها وباء .

وتتمثل الآداب الخفية في : الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره، والاستعانة بالله والتوكل عليه، وحسن الظن بالله، والإخلاص له سبحانه، وعدم تمني الموت .

عاشراً : أن أبرز فضائل الصبر في القرآن تتمثل في التالي :

١- اقتران الصبر بأركان الإسلام وقيمه ومقامات الإيمان .

٢- معية الله سبحانه للصابرين .

٣- ظفرهم بمحبته سبحانه .

٤- إطلاق البشرى لهم بأن جمع سبحانه لهم ثلاثة لم يجمعها لغيرهم، وهي: الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم .

٥- إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم ، وتوفيتهم أجورهم بغير حساب .

٦- ضمان النصر والمدد لهم من الله .

٧- ضمان سلامتهم من شر الأشرار، وحفظهم من كيد الأعداء .

٨- مدح الله لهم وثناؤه عليهم .

٩- دخولهم الجنة وتسليم الملائكة عليهم .

١٠- أنهم هم الذين يُلقَّون الأعمال الصالحة والجزاء عليها .

١١- أنهم هم الذين ينتفعون بآيات الله ويتعظون بها .

١٢- أنهم أهل الميمنة .

١٣- أن الصبر من عزم الأمور .

١٤- أنه يورث الإمامة في الدين .

حادي عشر : أن أبرز فضائل الصبر في السنة تتمثل في التالي :

١- تعريف الإيمان بالصبر والسماحة .

٢- أن الصبر ضياء .

٣- أنه خير عطاء أعطيه الإنسان وأوسعه .

٤- أن الصابر على طاعة الله وعن معصيته أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة .

٥- أن الصبر على البلاء أحد أربع خصال الخير في الدنيا والآخرة.

٦- اقتران الصبر بالنصر .

٧- توفيق الله الصابرين .

٨- عظم أجر الصبر على الأذى من الناس .

٩- تكفير الذنوب والخطايا .

١٠- نيل المكافأة في الدنيا .

١١- الفوز بالجنة في الآخرة .

١٢- إكرام الصابرين بتحية الملائكة لهم في الجنة .

ثاني عشر : أن أبرز فضائل الصبر في آثار سلف الأمة وعلمائها تتمثل في التالي :

١- أن الصبر نصف الإيمان .

٢- أنه ملاك الإيمان وذروته.

٣- أنه لا إيمان لمن لا صبر له .

٤- أنه معقل للمؤمن .

٥- أنه كنز من كنوز الخير .

٦- أنه من خصال البر.

٧- أنه من أفضل الأعمال .

٨- أنه مقام أولي العزم من الرسل .

٩- أنه أفضل العدة للمسلم .

١٠- أنه سبب دخول الجنة والنجاة من النار .

١١- أنه مطية لا تكبو.

١٢-ارتباطه الوثيق بالتقوى .

١٣- أنه مما يدرك به العبد رغائب الدنيا والآخرة .

١٤- أنه من حسن التوفيق وأمارات السعادة للمسلم .

١٥- أنه حمية من أدواء القلب ، وحفظ لصحة العبودية .

١٦- أنه عوض عن كل ما يفقده المسلم من متاع الحياة الدنيا .

ثالث عشر : أن مما يعين المسلم على الصبر على طاعة الله :

١- تقوية باعث الدين .

٢- معرفة حسن عاقبة الطاعة وأجرها العظيم عند الله .

٣- قصر الأمل .

٤- الدعاء .

رابع عشر : أن مما يعين المسلم على الصبر عن معصية الله :

١- تقوية باعث الدين .

٢- إضعاف باعث الشهوة .

٣- اللجوء إلى الله تعالى .

٤- الاستعانة بالصلاة .

٥- التفكر في مفاسد المعصية وسوء عاقبتها .

خامس عشر : أن مما يعين المسلم على الصبر على المحن والمصائب:

١- الإيمان بقضاء الله وقدره .

٢- الاستعانة بالله .

٣- فقه مضمون الاسترجاع .

٤- اليقين بحسن الجزاء عند الله .

٥- اليقين بالفرج

٦- المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا .

٧- رؤية نعم الله .

٨- علم المصاب بأن حظه من المصيبة بحسب موقفه منها .

٩- الاقتداء بأهل الصبر والعزائم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .